نـواحي الجمال في نـظام الكتابـة العربـيـة
بحث في بنية الكلمة المكتوبة وحدوده

أ. د. سام عبد الكريم عمار
كلية التربية – جامعة دمشق

1. مقدمة

اشتُهِرت اللغة العربية منذ عصر الجاهليين بأنها لغة أدب راقٍ؛ فقد كان سوقا عكاظٍ والمِربَدِ مناسبتين سنويتين، شبيهتين بما يعرف في أيامنا هذه، بالندوات أو المؤتمرات أو الملتقيات، تُلقى فيهما القصائدُ وتُنشَد الأشعار وتُقوَّم. حتى لقد عُرِف الشعر الجاهلي بأشهر قصائده التي سميت بالمعلقات (لجمالها الذي يجعلها تعلق في الذهن) أو المذهَّبات (لكتابتها بماء الذهب)، سبعاً كانت أو عشراً. ولطالما تغنّى العرب بمقولة: "الشعر ديوان العرب وسجل أيامهم". كما عَرَفت اللغة العربية في ذلك العصر الخَطابةَ، على مستوى أقل انتشاراً وتألقاً. وقد عُرِف من خطباء العصر الجاهلي كثيرون من أشهرهم قِسُّ بن ساعدة وأكثم بن صيفي. ولم تكن الأمثال والحِكَم بأدنى من الخَطابة مستوى. وكتاب **مجمع الأمثال** للميداني خير شاهد على هذا النوع من الأدب المنثور.

وبنزول الوحي الإلهي باللغة العربية على نبي الإسلام محمد (ص)، أصبحت هذه اللغة وسيلة المسلمين جميعاً في أداء شعائر دينهم، وارتقت وسَمَت وتعمقت وتوسعت باستيعابها قيم الإسلام الراقية، ومبادئه الإنسانية السامية، ومتطلباته الجديدة. ثم رافقته في الفتوحات التي امتدت في مختلف الاتجاهات، فتعلمها المنتمون الجدد إلى هذا الدين الجديد المنتشي بآفاقه الخلاقة السمحة، ورسالته التي استوعبت الأديان السابقة كلها، وأعلنت أنها خاتمتها.

ثم ازدادت اللغة العربية تألقاً ورسوخاً مع استقرار الدولة الإسلامية في العصر العباسي، واهتمام خلفائها، ولاسيما المأمون، بالتأليف والترجمة في مختلف العلوم، أدباً ونقداً وطباً وفلسفة وعلوماً شرعية ونقلية على اختلافها.

ومع دخول البلدان العربية حقبة الاستعمار في العصر الحديث، صمدت اللغة في وجه أعتى التحديات التي حاولت سحقها وابتلاعها، باستعمال سياسات إقصائها لمصلحة تعليم لغة المستعمر (الإنكليزية أو الفرنسية أو الإيطالية)، واتهامها بالقصور عن استيعاب مستحدثات الحضارة الجديدة. لقد حافظت اللغة العربية على كيانها بفضل حيويتها وتماسك نظامها وحِرص الغيورين من أبنائها عليها. وهي اليومَ ما زالت لغة حية راسخة متألقة مبدعة، على الرغم من مختلف عوامل التشتيت والأذى، التي تتعرض لها. ومسؤولية أبنائها، أفراداً كانوا أو هيئات مجتمعية أو مؤسسات رسمية، ما زالت تدعوهم، أكثر من أيّ وقت مضى، إلى حمايتها، وترسيخها، وحفظ مكانتها الرفيعة الموحِّدة والجامعة للشمل، بصفتها المكوّن الأعمق والأبعد أثراً لشخصيتنا وهويتنا العربيتين في الوقت الراهن وفي المستقبل، بعد أن تهاوى كثير من المرتكزات التي كانت تعتبر فيما مضى عوامل تَوحُّد وائتلاف لدى أبناء الأمة العربية.

وهذا البحث الذي نقوم بإنجازه يدخل في هذا الإطار: **حمايةِ اللغة العربية من خلال إبراز الخصائص الفريدة والعبقرية فيها**، التي تسوغ صمودها واستقرارها، وتدعونا إلى مزيد من دراستها والتأمل فيها، لاكتشاف كنوزها، وإثراء تراثها، وتقريبها إلى قلوب أبنائها، ونفوس متعلميها من غير الناطقين بها، وتحصين سيرورتها وانتشارها لغة أصيلة راسخة عربية الروح والمنطق والهوى.

2. مشكلة البحث

تغنَّى محبو اللغة العربية بخصائصها، فتحدثوا عن غنى مفرداتها، وتأنق أسلوبها، وجمال خطوطها، وتراثها الزاخر بالمؤلفات شعراً ونثراً: أدباً وفلسفة وتاريخاً وعلوماً وضعية ونقلية. وهاجمها مبغضوها في العصر الحديث فاتهموها بالتلكّؤ وبالقصور عن الوفاء بالمفردات

العصرية التي تتطلبها المستحدثات في مجال العلوم والتقانة. ودافع عنها الغيورون عليها، ومنهم كاتب هذا البحث (راجع في هذا الصدد سلسلة الأبحاث التي نشر أكثرها في **مجلة التعريب** التي تصدر عن مكتب الترجمة والتعريب والتأليف والنشر بدمشق، بدءاً من عام 2004)، وكانت دفاعاتهم، مثل كثير من مظاهر الهجوم عليها، غيرَ مستندة إلى المنطق والمنهج العلمي أحياناً، ومشوبةً في أحيان أخرى بنبرة عاطفية ظاهرة (راجع في هذا الموضوع القصيدة الرائعة الذائعة الصيت لحافظ إبراهيم في الدفاع عن اللغة العربية، وعنوانها: اللغة العربية تتحدث عن نفسها).

لقد أمْلَت هذه الدفاعاتِ طبيعةُ الدعوات المستنكَرَة المشبوهة التي بلغت، في أعتى موجاتها، الدعوةَ إلى أن تُستَبْدَل بأبجديتها الجميلة الأبجديةُ اللاتينية في الكتابة، وأن يُستبدَل بشكلها الفصيح الأصيل الأشكالُ العامية المنتشرة على اتساع رقعة الأرض العربية.

ولكن اللغة العربية صمدت في وجه موجات الأذى والتخريب المتلاحقة، وتكيفت مع مقتضيات العصر ومتطلباته، واستطاعت أن تثبت أنها لغة حية متجددة متطورة مثل أية لغة حية أخرى. ولتأكيد هذه الحقيقة نورد النص الآتي لكاتب هذا البحث: "**إن الفصحى المعاصرة** التي تطورت عن الفصحى التراثية، فبدت شكلاً أكثر مرونة وتكيفاً مع مقتضيات الاستعمال؛ إذ استمدت من مَعين نظام الفصحى التراثية النحوي (بالمعنى الشامل التشومْسْكِيّ) ومن مَعين نظامها المعجمي، ما تتطلبه حاجات التواصل على اختلاف ميادينها ومشاربها، وطورت هذين النظامين لِسَدِّ حاجات الاتصال والتطور الحضاري والتقني، **فانتقت وولّدت، وقاست (من القياس) ونحتت، وعرّبت وترجمت**، على يد شعرائها وكتّابها وعلمائها ومترجميها، المبدعين، وعلى يد هيئاتها العلمية واللغوية المتمثلة بمجامع اللغة العربية، مع بقائها عميقة الارتباط بالأصل، شديدة الوفاء له، **هي المؤهلة لأن تجسد وحدة اللغة العربية وسيرورتها**، وهي التي ينبغي أن تظل موضع الدعم والرعاية والتشجيع من الأنظمة السياسية والتربوية، ومن مختلف المؤسسات المعنية والأفراد المهتمين" (عمار، 2009).

إن مشكلة هذا البحث تتجلى: في تلمُّس نواحي الجمال في نظام الكتابة العربية. والبحث يسعى إلى أن يَدْرُسَ بكثير من الموضوعية والعلمية، وبتحليل واعٍ مستند إلى المنطق الشكلي والمنهج العلمي، ما تنطوي عليه اللغة العربية من نواحي جمالٍ، على صعيد نظام كتابتها، تسمح بأن **ننعتها بالتميز والتفرد والأصالة.**

3. سؤال البحث

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن السؤال الآتي: ما النواحي الجمالية في بنية الكلمة المكتوبة في نظام اللغة العربية، التي تمنح هذه اللغة تميزاً وتفرداً بين اللغات؟

4. هدف البحث

يرمي البحث إلى تحديد نواحي الجمال في بنية الكلمة المكتوبة في نظام الكتابة العربية وتحليلها وتبيان مظاهر التفرد والتميز فيها.

5. حدود البحث

تنحصر حدود هذا البحث في تناول النواحي الجمالية في نظام الكتابة العربية ضمن إطار الحدود التي رسمَتْها بدقة شديدة التعريفاتُ الإجرائية للمصطلحات الأساسيّة التي استند إليها، وتَحدَّدَ بها مسارُه.

6. التعريفات الإجرائية لمصطلحات البحث

اعتُمد في البحث عددٌ من المصطلحات، وهي: **نظام الكتابة العربية، والكلمة، والكلمة المكتوبة، والبنيتان: الصغرى والكبرى للكلمة المكتوبة، والسوابق، واللواحق، والنواة، والنص،** التي تشكل المفاهيم الأساسيّة لعملية الكتابة. وهي مصطلحات ذات استعمالات متعددة في معانٍ محددة، تَبَعاً لمتطلبات البحث ومقاصد الكاتب. وهذه التعددية في الاستعمال تدعونا

إلى أن نحدّد، على وجه الدقة، ما نعنيه في هذا البحث، بكل مصطلح منها. وفيما يلي تعريف هذه المصطلحات لأغراض هذا البحث.

1.6 نظام الكتابة العربية

تعرّف الكتابة تقنياً بأنها: "نظام علامات خطّية، يمكن أن يتّخَذ بديلاً للغة المنطوقة، من أجل تثبيت رسالة أو الاحتفاظ بها، أو الاتصال عن بُعد،..إلخ" (Galisson, R. et al, 1983).

وفي الميدان التربوي تعني الكتابة: "التدرب على الكتابة، وهو تعلم حركي لرسم الحروف وسواها من العلامات، ..إلخ، فنتحدث عندها (عن درس الكتابة، ودفتر الكتابة، ..إلخ)" (Galisson, R. et al, 1983). وهي كذلك: **الطريقة التي تُرسَم بحسبها أشكال الخط، فنتحدث عندها عن قواعد الخط وأساليبه.** كما نتحدث، في اللغة العربية، عن أنواع الخطوط وقواعدها، كخط النسخ، أو خط الرقعة، أو الخط الكوفي، ..إلخ.

ونحن نعتمد في هذا البحث التعريف الأول مطبقاً على اللغة العربية. **فالكتابة العربية تعني في هذا البحث: نظامَ علامات خطية (تُرسَم بموجبه الأشكال المرئية للأصوات المنطوقة، في هيئة حروف تتآلف في صيغة كلمات) تجسّد المعانيَ الماثلة في الذهن، طِبقاً لنظام اللغة العربية في التعبير.**

ولهذا النظام الكتابي إذن قواعده وأصوله وأساليبه المتعارفة والمعمول بها، التي أضفت على الكتابة العربية خصائص جمالية إبداعية، ولكنها أورثتها كذلك مشكلات ذات صبغة إملائية، تستدعي التأمل والتمحيص؛ لأن اتفاق الأنظمة التربوية العربية عليها من شأنه أن يخفف على الناشئة: أولاً عبء تعلّمٍ مضطرب مُضْنٍ، وعلى الكبار: ثانياً كثيراً من العَنَت في الحفاظ على كتابة قليلة الأغلاط، إن لم نجرؤ على القول: متقنة الإملاء.

وفي صورة أكثر تقييداً، يمكننا أن نوحد بين معنيَيْ: نظام الكتابة العربية والإملاء بالمعنى الواسع، لنشير عند ذاك إلى: كيفية كتابة الكلمات بمقتضى نظام الكتابة (الرسم الخطي) الخاص باللغة العربية، وتَبَعاً للعلاقات المختلفة القائمة بالأنظمة الثانوية الأخرى

لهذه اللغة (النحوي والصرفي والمعجمي).

وبتطبيق هذا التعريف على اللغة العربية نجد أثر التغيّرات النحوية الصرفية في كتابة الكلمات على شاكلة محددة: إن جزم المضارع المعتل الآخر، طبقاً لهذا التعريف، يقتضي حذف لام الفعل في مثل: (لم يرمِ، ولم يسعَ، ولم يدنُ)؛ واشتقاق المضارع من الماضي المثال الواوي يقتضي حذف فاء الفعل في مثل: (يرِثُ ويعِدُ، ويقِفُ)؛ واشتقاق الأمر من المضارع الثلاثي اللفيف المفروق يقتضي حالتي حذف: **صرفي** لفاء الفعل، و**نحوي** للامه، فيبقى الفعل على حرف واحد في مثل: (إِ يا سعيدُ وأْياً صادقاً، وقِ يا ناصرُ نفسَك من الأذى). وإذا جاء هذا الفعلان في آخر الجملة أُلحِقت بهما هاء السّكت؛ ليمكِن الوقف عليهما، فيطرأ عليهما، بسبب الوقف، تغيّر ثالث: **إملائي** ، في مثل: (يا سعيدُ إِه)، و(نفسَك يا ناصرُ قِه).

2.6 الكلمة في نظام الكتابة العربية

يقسم نحاة اللغة العربية الكلام إلى اسم وفعل وحرف. وغنيٌّ عن البيان أن الحرف هنا لا يعني الرسم الخطي المجسِّد كتابياً لصوت واحد بعينه (ثمانية وعشرون حرفاً أبجدياً مقابل ثمانية وعشرين صوتاً). إنه حرف يحمل معنى (ومن هنا كان حديث اللغويين والنحويين عن حروف المعاني). **إن الحرف، باعتباره القسم الثالث من أقسام الكلام، هو ما حمل معنى وأدى وظيفة في الكلام الذي يرد فيه**، كحرف الجر مثلاً. **ومصطلح الكلام هنا (في العرف اللغوي) يعني النصَّ الذي يؤدي معنى متكاملاً، مهما صَغُر حجمُه.** وأصغر وحدة نصّية هي الجملة المكونة من مسند ومسند إليه، اسميةً كانت أو فعلية، كقولنا: (نجح المجد) أو (المجد ناجح). و**الكلمة ضمن هذه الحدود قد تكون اسماً أو فعلاً أو حرفاً، وتتجلى في حدها الأدنى في بنية صغرى غير قابلة للاختزال** (المصطلح والتعريف هنا من وضع الباحث). لقد سمّى العالم اللغوي الفرنسي أندريه مارتينيه هذه البنية الصغرى (monème) وعرفها بأنها: "**أصغر وحدة لغوية حاملة لمعنى في الجملة، وقابلة لأن تكون، بذاتها، موضوعَ اختيار من المتكلم، على صعيد المحتوى**" (Martiné, 1967). أما علم اللسانيات التوزيعية الأميركي فأطلق على

ما أسميناه بنية صغرى اسم (morpheme)، وعرفها بأنها: "**علامة صغرى، أو أصغر صيغة لغوية حاملة لمعنى**" (Galisson, R. et al, 1983).

غيرَ أن الكلمة العربية في الاستعمال اللغوي تتفق حيناً مع هذين التعريفين الوصفيين التصنيفيين المتماثلين، وتختلف عنهما أحياناً حينما تضم معاً، إلى جانب هذه الوحدة المعنوية الصغرى، وحداتٍ أخرى مماثلة تشكل في مجموعها المتّحد في كلمة واحدة، **بنيةً لغوية كبرى** أوسع وأبعد مدى في معناها ودلالتها. **وهذه الكلمة العربية في بنيتيها: الصغرى والكبرى تستعمل في الخطاب الشفوي وفي الخطاب المكتوب.**

والكلمة المكتوبة طبقاً لنظام الكتابة العربية يمكن أن ينطبق عليها إذن التعريفان السابقان المُجمِعان على أن الكلمة المكتوبة تشكل في حدها الأدنى (**أصغر وحدة لغوية حاملة لمعنى**) في بعض مكونات قولنا: "يجب أن يتفق التربويون العرب على ضبط كتابة الهمزة المتوسطة"؛ وهذه المكونات هي الآتية: الفعلان (يجب، يتفق)، والاسمان: (ضبط، كتابة)، والحرفان: (أن، على). ولكن التعريف لا ينطبق على بقية مكوناته، وهي كلمات: (التربويون، العرب، الهمزة)؛ لأنها قابلة للاختزال بحذف (ال) التعريف منها جميعاً، وحذف علامة رفع جمع المذكر السالم ونون العِوَض عن التنوين في الاسم المفرد، من (التربويون). إن هذه الأسماء الثلاثة يجب أن تنتمي إذن إلى بنية ثانية مختلفة عن الأولى سنطلق عليها مصطلح: **بنية لغوية كبرى.**

ومن أجل توضيحٍ أكبرَ لبعض أَشكال هذه البنية الثانية الكبرى نقدم المثال الآتي: "رأيتهم يتعاونون في إنجاز عمل أُسنِد إليهم". لقد خرجت ثلاث كلمات في هذا النص على تعريفَيْ البنية الصغرى، الوصفيين التصنيفيين السابقين، وهي:

- كلمة (**رأيتُهُم**)، التي تشكل تركيباً لغوياً بحد ذاتها مكوناً من فعل ماض (رأى)، وفاعل (ضمير الرفع المتصل به)، ومفعول به (هاء الغائب)، وعلامة جمع الذكور العقلاء(الميم).
- وكلمة (**يتعاونون**)، التي تشكل هي الأخرى تركيباً لغوياً آخر: الفعل المضارع (يتعاون)، والفاعل (واو الجماعة)، وعلامة رفع الأفعال الخمسة (النون).

- وكلمة (**إليهم**) المكونة من اسم مجرور (هاء الغائب، وهي ضمير متصل مبني في محل جر) بحرف الجر، وحرفين هما: (إلى: حرف الجر، والميم: علامة جمع الذكور العقلاء).

إن تعريف الكلمة في اللغة العربية، من حيث هي لفظة منطوقة أو من حيث هي هيئة مكتوبة، ينبغي أن يكون إذن أوسع من تعريفها البنيوي الوصفي بأنها: **أصغر وحدة لغوية حاملة لمعنى**؛ لأن الكلمة في اللغة العربية قد تضم تركيباً متكاملاً، يشمل عدة وحدات معنوية صغرى. وهذا معنى قولنا السابق: إن للنظام الكتابي قواعدَه وأصوله وأساليبه المتعارف عليها والمعمول بها، التي أضفت على الكتابة العربية خصائص جمالية إبداعية. ولكنها أورثته كذلك مشكلات ذات صبغة إملائية، تستدعي التأمل والتمحيص؛ لأن هناك مشكلات إملائية لم يقدّم لها التربويون العرب حلاً توافقياً حتى الآن، من بينها قواعد إملاء الهمزة المتوسطة. **وهذه القواعد الإشكالية على صعيد الخطاب المكتوب لا نواجهها في الكلمات عينها على مستوى النطق أو الخطاب الشفوي. ولهذا وجب علينا أن نقدم تعريفاً محدداً بدقة للكلمة المكتوبة في اللغة العربية.**

3.6 الكلمة المكتوبة في نظام الكتابة العربية

إننا نعرّف **الكلمة العربية المكتوبة في هذا البحث إجرائياً** بأنها: **وحدة معنوية خطية يحدها من الجانبين: اليمين واليسار، فراغٌ (مسافة واحدة بيضاء، أي مسافة لا كتابة فيها، على الورق أو سواه من أدوات الكتابة أو الطباعة)**. وعلى أساس هذا التعريف، يمكن للكلمة المكتوبة أن تكون، أحياناً، أصغر وحدة لغوية حاملة لمعنى، مثل: (أنْ)، أو (عِلْم)، أو (قرَاءة)؛ ويمكن أن تكون، أحياناً أخرى، شاملة لتركيب متكامل متناسق يضم معاً عدة وحدات لغوية صغرى حاملة لمعنى، مثل: (رأيتُهُم).

ولكنَّ بنية الكلمة العربية المكتوبة قد تصل في أقصى حدودها الممكنة التكوين إلى إحدى عشرة وحدة لغوية صغرى حاملة لمعنى، كما سنبين ذلك في الفقرة (3.7).

وهذه الخاصية الفريدة للغة العربية في تكوين الكلمات يُفْتَرَضُ أن تكون وحدها كافية

لوصفها بالعبقرية، فليس لها مثيل في لغات العالم كله.

4.6 البنية الصغرى للكلمة المكتوبة في اللغة العربية

نقصد بالبنية الصغرى للكلمة المكتوبة في اللغة العربية: **الحدَّ الأدنى من الحروف، الذي تتكون منه الكلمة في شكلها الخطي (فلا تحسب فيه الحروف الموجودة أصلاً في بنية الكلمة، ولكنها حذفت لعامل نحوي أو صرفي أو سواهما، بل تحسب فقط الحروف التي لها مقابل في الميزان الصرفي، الذي هو معيار ضبط بنية الكلمة)، ولا يمكن اختزال هذا الحد الأدنى من الحروف إلى ما هو أدنى منه من دون أن يتغير المعنى أو يُفقد. مثال ذلك الأسماء كلها، مجردة أو مزيدة، والأفعال كلها، مجردة أو مزيدة،** على اعتبار أن أحرف الزيادة تلازم الاسم أو الفعل، في حالة الزيادة وتمنحه معنى مختلفاً عنه في حالة التجرد: إن المعنى الذي يحمله الاسم: محمود (المزيد بميم وواو) غير المعنى الذي يحمله مصدره (حمداً)، ومعنى الفعل: استقبل (المزيد بالألف والسين والتاء) غير معناه مجرداً منها. ثم إننا نستطيع مثلاً أن نستبدل بضمير النصب المتصل بالفعل، الاسمَ الأصل الذي عاد عليه الضمير، ولكننا لا نستطيع أن نستبدل بحرف الزيادة أيَّ شيء آخر. فمن أمثلة البنية الصغرى في الأسماء: (هند، ومحمود، وشجرة، وقاسم وفاروق وهوازن، وناقوس)، ومن أمثلتها في الأفعال: (كتب، وكافح، واستقبل، ووأى، ويئي، والأمر منه: إِ).

5.6 البنية الكبرى للكلمة المكتوبة في اللغة العربية

نعرّف البنية الكبرى للكلمة المكتوبة في اللغة العربية في هذا البحث بأنها:**البنية الصغرى، اسماً كانت أو فعلاً، أو حرفاً، مضافاً إليها الزوائد كلها، التي هي في الأصل وحدات لغوية صغرى حاملة لمعنى. وقد سبق لنا أن رأينا أمثلتها في كلمات (رأيتهم، يتعاونون، إليهم).**

وقد تكون هذه الزوائد سوابق، مثل: همزة الاستفهام و(ال) التعريف ولام الأمر واللام الجارة، في المثالين الآتيين: (أَكتَبَ سميرٌ الوظيفةَ؟)، و(لِيُحضِّرْ للامتحان جيداً)؛ كما تكون لواحق، مثل: تاء الفاعل وهاء الغائب وميم جمع الذكور ونون الوقاية وياء المتكلم، في المثال

الآتي: (ساعدتُهم في عملهم حِرصاً منِّي عليهم). وقد تكون سوابق ولواحق في آن معاً، فالسوابق مثل همزة الاستفهام، واللواحق مثل: كاف الخطاب، وميم جمع الذكور، والواو الوصليه (بخصوص هذه الواو راجع الفقرة 3.7)، وهاء الغائب، والألف الدالة على المؤنث، في **الكلمة المكتوبة: (أنُلزِمُكُموها؟)** الواردة في الآية 28 من سورة هود، ونصها: "قال يا قومِي أرأيتُم إن كنتُ على بيّنةٍ من ربّي وآتاني رحمةً من عنده فعُمِّيَتْ عليكم **أنلزمُكُمُوها** وأنتم لها كارهون" (سورة **هود**، الآية 28).

نلاحظ هنا أن هذه **الكلمة المكتوبة: (أنُلزِمُكُموها؟)** قد ضمت في تركيبها أقسام الكلام الثلاثة (بحسب تصنيف النحويين لأقسام الكلام إلى أسماء وأفعال وحروف، سبق أن عرفناها في الفقرة 2.5 بأنها وحدات لغوية صغرى حاملة لمعنى) التي بلغ مجموعها فيها **ست وحدات**، في صيغة سوابق: (همزة الاستفهام) ولواحق: (كاف الخطاب والميم:علامة جمع الذكور العقلاء والواو الوصلية وهاء الغائب وألف التأنيث)، اتصلت بالفعل (نلزم) الذي **هو الوحدة النواة** (سيرد تعريف النواة في الفقرة 8.6).

ولابد من الإشارة هنا إلى أن مصطلحَيْ (البنية الصغرى والبنية الكبرى) في بحثنا مختلفان كلياً عن مصطلحَيْ (الجملة الصغرى والجملة الكبرى) اللذين يستعملهما النحويون لدى الحديث عن إعراب الجمل؛ فالبنية الكبرى هنا قد تكون جملة صغرى في مثل قولنا: "الفائزون يُستَقبَلون دائماً بالورود". إن جملة (يُستَقبَلون) التي هي بنية كبرى جاءت جملة صغرى وقعت خبراً للمبتدأ (الفائزون) الذي هو أيضاً بنية كبرى، تبعاً لتعريفينا السابقين للبنيتين الصغرى والكبرى. أما الجملة المكونة من المبتدأ (الفائزون) والخبر (الجملة الفعلية: يُستَقبَلون) فهي في العرف النحوي العربي جملة كبرى.

6.6 السوابق

نعني بالسوابق تلك الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى (وهي حروف معانٍ حصراً)، التي تتصل بالفعل أو الاسم أو الحرف، الذي يكوِّن نواة البنية الكبرى للكلمة العربية **المكتوبة**،

ومثالها: همزة الاستفهام في **الكلمة المكتوبة الفعلية النواة: (أنلزمكموها؟)**؛ والفاء الاستئنافية والباء الجارَّة في **الكلمة المكتوبة الاسمية النواة: (فبأيِّ)** من قوله تعالى: "فبأيِّ آلاء ربكما تكذبان؟" (سورة **الرحمن**، الآية 13)؛ وهمزة الاستفهام وفاء الاستئناف والباء الجارَّة في **الكلمة المكتوبة الاسمية النواة: (أَفَبِعَذابِنا) من قوله تعالى:** "أَفبعذابنا يَستعجِلونَ؟" (سورة **الصافّات**، الآية 176)؛ وهمزة الاستفهام وفاء الاستئناف في **الكلمة المكتوبة الحرفية النواة: (أفإن)** من قوله تعالى: "أفإن مات أو قُتِل انقلبتم على أعقابكم؟" (سورة **آل عمران**، الآية 144).

7.6 اللواحق

ونعني بها: تلك الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى، (وهي حروف معانٍ وأسماء: ضمائر متصلة، وعلامات إعراب، وتأنيث، وتثنية، وجمع، ..إلخ) التي تتصل بالفعل أو الاسم أو الحرف، الذي يكوِّن نواة البنية الكبرى للكلمة العربية المكتوبة، ومثالها: كاف الخطاب، وعلامة جمع الذكور العقلاء (الميم)، والواو الوصليه (راجع بشأنها الفقرة 3.7)، وهاء الغائب، والألف الدالة على المؤنث، في **الكلمة المكتوبة الفعلية النواة: (أنلزمكموها؟)**؛ وضمير المخاطب: الكاف، و(ما) الدالة على المثنى في **الكلمة المكتوبة الاسمية النواة: (ربِّكُما)** من قوله تعالى: "فبأيِّ آلاءِ **ربِّكُما** تكذبان؟" (سورة **الرحمن**، الآية 13)؛ وهاء الجمع الغائب وميم جمع الذكور في **الكلمة المكتوبة الحرفية النواة: (عليْهِمْ)** من قوله تعالى: "صراطَ الذين أنعمتَ **عليْهِمْ**" (سورة **الفاتحة**، الآية 7).

8.6 النواة

هي الفعل (المجرد أو المزيد) أو الاسم (المجرد أو المزيد)، أو حرف المعنى، الذي تتصل به السوابق أو اللواحق أو السوابق واللواحق معاً، فتنشأ منها جميعاً البنية الكبرى للكلمة المكتوبة في اللغة العربية. ومثالها: الفعل **(نُلزم)** في الكلمة المكتوبة: **(أنلزمكموها؟)**، أو الاسم (ربِّ) في الكلمة المكتوبة: **(ربِّكما)**، أو الحرف (على) في الكلمة المكتوبة: **(عليهِم)**.

9.6 النص

نعني بمصطلح النص في هذا البحث: "**المعنى الذي ينطبق على الكلام في اصطلاح النحويين، والذي يعني جملة مفيدة، أو تركيباً يحمل معنى محدداً**". و**الكلام** في حده الأدنى يتكون من جملة استوفت ركنيها الأساسيين: المسند والمسند إليه وأدت معنى مكتملاً، كقولنا: "أشرقت الشمسُ" أو "الشمسُ مشرقةٌ". ولكن الجملة التي استوفت ركنيها الأساسيين لا تكون كلاماً عندما لا تؤدي معنى مكتملاً، كجملة الشرط (إن تجتهد) في قولنا: "إن تجتهدْ تنجحْ". **إن اكتمال المعنى هو ما يميز الكلام عن الجملة** (من أجل مزيد من التوضيح راجع: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، الجزء الثاني، لابن هشام).

وهذا الحد الأدنى التام المعنى قابل **للتوسيع والتطوير** بإضافة تتمّات أو تكملات قد تكون هي الأخرى جملاً صغرى تنتمي إلى الجملة الأصلية بروابط مختلفة، **ليشكِّل الكلامُ بمجمله أو النص بمجمله جملةً كبرى** (بالمفهوم النحوي الذي أوضحناه في الفقرة 5.6) ذات حجوم مختلفة تبعاً لعدد التتمّات التابعة لها. إن كلاماً مثل: "**رأيتكَ، في ذلكَ اليومِ الجميلِ، الذي كانَتْ سماؤُه شديدةَ الصفاءِ وطقسُه أميلَ إلى البرودةِ، تضمُّ إلى صدرِك، مغموراً بالسعادةِ، طفلَك الصغيرَ، وقد ارتسمَتْ على وجهِهِ ابتسامةٌ ساحرةٌ يفوحُ منها أَرِيْجُ البراءةِ الطفليّةِ ووهجُ السعادةِ المنتشيةِ بحنانِ الأبوةِ الطاهرةِ**"، يقوم بمجمله على أَصلٍ هو جملة: "**رأيتك**". على أن معنى الكلام لا يكتمل هنا إلا باستيفاء المفعول به؛ لأن "رأى" متعدٍّ لواحد. وأما ما زاد عن هذا الأصل من (جارّات ومجرورات، وصفات وموصوفات في صورة مفردات أو جمل صغرى، وصلاتِ موصولات في شكل جمل صغرى، وأحوالٍ في هيئة مفردات أو جمل صغرى، ..إلخ)، فتوسيعات أو تطويرات للجملة الكبرى (في المصطلح النحوي) التي تستغرق الكلامَ كله أو النصَّ كله. وكان من الممكن أن نزيد في توسيع هذا الكلام، بإضافات أخرى كثيرة لو أردنا.

ومصطلح الكلام في العرف النحوي العربي يبدو لنا معادلاً لمصطلحَيْ: الكلام (parole) عند فرديناند دو سوسّير، والأداء (performance) لدى تشومسكي (انظر: عمار، 2002).

7. النواحي الجمالية في بنية الكلمة المكتوبة في نظام الكتابة العربية

بعد التحديد الدقيق للمصطلحات الأساسية التي يستند إليها البحث سنتناول في الإجابة عن سؤاله، بالتحليل والمناقشة، جملة من الظواهر التي بدت لنا، بعد التمحيص، **سماتٍ شديدة الوضوح في الدلالة على جمالية الكتابة العربية.**

إن المتأمل لبنية الكلمة المكتوبة في نظام الكتابة العربية، المدقق فيها، الغائص في أسرارها، المستقصي في خفاياها، يلاحظ مظاهر جمالية متعددة، سنقف عند أبرزها، وهي:

1.7 الاختزال

نعني بهذه السِّمة الجمالية: ما يعتري البنية الصغرى للكلمة المكتوبة (اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً) أو الكبرى، من حذف سببته علة صرفية أو نحوية أو هما معاً أو ضرورة شعرية (قصر الممدود)، أو إضمار، أو إدغام، أو عُرْف في الاستعمال. وسِمة الاختزال الجماليةُ هذه هي التي تجعل حجم النص المترجَم إلى اللغة العربية أصغر من الأصل الأجنبي الذي تُرجِم عنه، وتجعل بالمقابل النص المترجَم عن اللغة العربية إلى لغة أخرى أكبر حجماً.

1.1.7 عوامل الاختزال: تتبدى لنا عوامل الاختزال فيما يأتي:

1.1.1.7 ظاهرة الضمير المستتر: تتبدى ظاهرة الضمير المستتر في البنية الصغرى الفعلية للكلمة المكتوبة حين يكون الفاعل مفرداً متكلماً، في مثل: "إنني **أعني** ما أقول" أو جمعاً للمتكلمين، في مثل: "إننا **نناقش** قضايانا بموضوعية، و**نعالج** مشكلاتنا بمسؤولية"، وحين يكون مفرداً مخاطَباً، في مثل: "إنك **تقرأ** بتركيز شديد"، أو مفرداً غائباً، في مثل: "عندما قابلته **حدثني** بمودة بالغة"، أو مفردة غائبة، في مثل: "استمعت إليها باحترام؛ لأنها **تحدثت** بصراحة شديدة".

وقد يقع الضمير المستتر اسماً لكان أو إحدى أخواتها حين يكون الفعل ناقصاً في الحالات السابقة كلها، وأمثلتها على التوالي: "**أكون** صادقاً عندما أفي بوعدي"، و"**سنكون** موضوعيين

عندما نناقش الأمور بتجرد"، و"يحبك الناس حينما **تكون** ملتزماً بكلمتك" و"نال إعجابي عندما **كان** يدافع عن قضية محقة"، و"استمعت إليها باحترام؛ لأنها **كانت** تتحدث بصراحة شديدة".

2.1.1.7 ظاهرة اشتمال النظام اللغوي العربي على عدد كبير من الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى (أسماءً كانت أو أفعالاً أو حروفاً) التي تقوم بنيتها الكتابية على حرف واحد إن هذه الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى، التي تقوم بنيتها الكتابية على حرف واحد، غير قابلة للحياة والاستعمال، مستقلةً بنفسها في نظام اللغة العربية إن كانت أسماء، ونقصد بها الضمائر المتصلة كلها (في محل رفع كانت أو في محل نصب أو جر)، **أو حروفاً، ونعني بها حروف المعاني** التي تبلغ، إن صنفت باعتبار شكلها ورسمها، ثلاثة عشر حرفاً، وهي: الهمزة والألف والباء والتاء والسين والفاء والكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء (من المفيد التوضيح هنا أننا نصنف بين هذه الحروف الأحادية البنية نون رفع الأفعال الخمسة والألف والواو والياء التي هي علامات إعراب الأسماء الخمسة التزاماً بمنهجنا الشكلي الكلي الذي يأخذ بالاعتبار كل ما يشغل حيزاً مكانياً في الشكل ضمن بنية الكلمة). أما إذا صنفت هذه الحروف باعتبار وظيفتها فإنها تبلغ ما يزيد على أربعين نوعاً. وسنورد مثالاً واحداً لتنوع تسميات حرف المعنى الواحد بتنوع وظائفه اللغوية. إن الواو مثلاً تأتي **للعطف أو الاستئناف أو الاعتراض أو القسم أو الحال أو المعية.** (ومن أراد مزيداً من التفصيل في وظائف هذه الحروف فليعد إلى كتاب: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لابن هشام الأنصاري). وقد أضاف الباحث بنتيجة الاكتشاف، إلى وظائف حرف الواو هذا، **وظيفة سابعة لم يوردها ابن هشام في المغني ولم يجد لها الباحث تصنيفاً عند سواه من النحويين، وهذه الوظيفة هي: الوصل** في مثل قوله تعالى: "أنلزمكموها" (سورة **هود**، الآية 28) (لمزيد من التفصيل راجع الفقرة 3.7).

ومن المفيد هنا أن نضيف من وجهة نظر منهجية شكلية محضة (الحصر الشامل لوظائف

الواو) **وظيفتين أخريين للواو: ثامنة، وهي مجيئها علامة رفع للأسماء الخمسة، وتاسعة، وهي مجيئها علامة رفع لجمع المذكر السالم**؛ لأن هذه الواو في هاتين الحالتين تؤدي وظيفة محددة هي الدلالة على الرفع بدلاً من الضمة. ونذكرها هنا بهاتين الوظيفتين؛ لأنها تترك أثراً مادياً خطياً هو حرف الواو الذي يأخذ حيزاً مكانياً في بنية الكلمة الكتابية، خلافاً للضمة التي تستقر فوق الحرف إن رسمت، ولا تظهر إطلاقاً إن استُغنِي في الكتابة عن الضبط بالشكْل. وهي في كلتا الحالتين لا تحتل في بنية الكلمة الكتابية (عدد حروفها) حيزاً مكانياً. إن النحويين يطلقون على الحروف التي تشكل علامات إعراب مصطلح: **علامات الإعراب الفرعية**، وهي الواو والألف والياء للأسماء الخمسة، رفعاً ونصباً وجراً، والألف لرفع المثنى والواو لرفع جمع المذكر السالم، والياء لنصبهما وجرهما.

إن هذين النوعين من الوحدات المعنوية الصغرى التي تقوم بنيتها الكتابية على حرف واحد (الضمائر المتصلة وحروف المعاني) لا تستعمل إلا متصلة بالكلمة النواة، في شكل لواحق إن كانت أسماء؛ أو في صيغة سوابق أو لواحق، أو سوابق ولواحق معاً إن كانت حروفاً. ومثال الحالات الثلاث الأوليات (الأسماء اللواحق والحروف السوابق أو اللواحق) كلمات (صديقيه، منهما، نسختين، كتابه، الأخير، بمودة) في قولنا: "زار سعيدٌ **صديقيه** نبيلاً وقاسماً **وأهدى** كلاً **منهما نسختين** من **كتابه الأخير، فشكراه بمودة** غامرة".

أما مثال حروف المعاني التي تأتي سوابق ولواحق معاً في بنيةٍ كبرى واحدة للكلمة المكتوبة فالفاء العاطفة وألف الاثنين في كلمة (**فشكراه**) من المثال السابق، وميم جمع الذكور العقلاء وهمزة الاستفهام والواو الوصليه وألف التأنيث في قوله تعالى: (**أنلزمكموها؟**) في (سورة **هود**، الآية 28).

ومن المفيد أن نبين هنا أن اثنين وعشرين حرفاً من حروف المعاني، باعتبار وظيفتها، تأتي بصفتها **لواحق**، وهي: الألف الفارقة، وألف الاستغاثة، وألف التعجب، وألف الندبة، وألف الفصل بين نوني النسوة والتوكيد في المضارع المؤكد بالنون، وألف رفع المثنى، وواو رفع

الجمع المذكر السالم، وياء نصبهما وجرهما، ونون الوقاية، ونونا التوكيد: الخفيفة والثقيلة، ونون رفع الأفعال الخمسة، والنون العائضة عن التنوين في الاسم المفرد التي تلحق بعلامات إعراب المثنى وجمع المذكر السالم، وميم جمع الذكورالعقلاء، وهاء السكت، والياء والكاف والهاء، التي تختم ضمير النصب المنفصل للدلالة على المتكلم والمخاطب والغائب، والألف والواو والياء التي هي علامات إعراب الأسماء الخمسة المفردة غير المضافة إلى ياء المتكلم، والواو الوصلية التي سبق أن تحدثنا عنها. أما الباقيات من حروف المعاني فيأتين بصفتهن **سوابق**. ومن المفيد أن نبين أيضاً أن حروف المعاني التي يمكن أن تأتي سوابق في بنية واحدة كبرى قد يصل عددها الأقصى إلى **أربعة**، مثل (همزة الاستفهام والفاء الاستئنافية والباء الجارّة وها التنبيه) في البنية الاسمية الكبرى (**أفَبِهذا**) من قوله تعالى: "**أفَبِهذا** الحديثِ أنتُم مُدْهِنُون" (سورة **الواقعة**، الآية، 81).

واعتبار هذه الحروف جزءاً من حدود الكلمة المكتوبة طبقاً لتعريفنا السابق (الفقرة 3.6) يبدو لنا **حقيقة غير قابلة للنقاش**، وأدلتنا على ذلك كثيرة، منها:

1. أن حروف المعاني التي تأتي **لواحق** تكون كلها **متصلة** بالكلمة. ومن الأمثلة على ذلك: حروف: الياء والكاف والهاء في أواخر ضمائر النصب المنفصلة؛ وألف النداء والاستغاثة، والندبة؛ والألف الفارقة؛ ونون الأفعال الخمسة؛ ونونا التوكيد الخفيفة والثقيلة، ..إلخ.
2. وأن الأحرف التي جاءت **سوابق** وكانت قابلة للاتحاد رسماً بالكلمة **وُصِلَتْ بها** كتابياً. مثال ذلك سين الاستقبال السابقة للمضارع، والباء الجارة، والقَسَميَّة، وتاء القسم. ومن الأمثلة كذلك فاء العطف (فاء السببية عاطفة أيضاً، لأنها تعطف مصدراً مؤولاً على مصدر مفترض منتزع من الكلام قبلها)، وفاء الاستئناف، ولام الابتداء، ولام الأمر، واللام المزحلقة. أما واو القسم، وواو العطف، وواو الاستئناف فعدم اتصالها بالكلمة بعدَها يعود إلى **سبب صناعي**، وهو أن الواو قابلة للاتحاد رسماً بما قبلها لا بما بعدها. ودليل اتحادها بالكلمة التي بعدها هو عدم وجود فراغ بينهما كالذي يفصل بين كلمتين (راجع التعريف الإجرائي للكلمة المكتوبة).

3. و**وجوب إدغام** همزة الاستفهام بهمزة الوصل في (ال) التعريف التي تتصدر الكلمةَ التي تليها، في مثل قوله تعالى: "**آلآن** وقد كنتم به تستعجلون؟" (سورة **يونس**، الآية 51)، وفي مثل قولنا: "**آلليل** أطول من النهار في شهر آذار؟" و"**آلدراسة** في أول النهار أفضل أم في أوائل الليل؟".

أما **الأفعال** (وهي النوع الثالث من الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى) التي تقوم بنيتها الكتابية على حرف واحد **فتتمثل في صيغة الأمر من الأفعال اللفيفة المفروقة، وهي قابلة لأن تُكتَب كلمة مستقلة، إن وقعت في دَرج الكلام**، كقولنا: "قِ نفسَك من الأذى يا خالدُ". فإن جاءت في نهاية الكلام، كقولنا: "يا خالدُ نفسَك قِهْ"، وجب أن تليها موصولةً بها هاءُ السكت، لتعذّر النطق بها موقوفاً عليها، فيُؤتى بهاء السكت ليُوقَف عليها ويُسكَت. ومن هنا كان اسمها. وبذلك تؤدي هاء السكت **وظيفتين** في آن معاً، **أولاهما:** التمكين من الوقوف في نهاية الكلام على ساكن، **وثانيتهما:** الحفاظ بفضل ذلك على حركة فعل الأمر الذي بقي، بسبب من علل الصرف، على حرف واحد، وهي حركة عين الفعل في المضارع، التي أوجبت قوانينُ الصرف أن تكون حركةُ أول الأمر تابعة لها (وَقَى يَقِي قِ).

إن هذا العدد الكبير جداً من الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى يمنح اللغة العربية حيوية ورشاقة ومرونة وغزارة وتنوعاً في صوغ الكلمات من جهة، وفي بناء التراكيب اللغوية من جهة أخرى.

3.1.1.7 ظاهرة الحذف: الحذف هو إسقاط حرف أو أكثر من بنية الكلمة المكتوبة: الصغرى أو الكبرى. وسببه قد يكون صرفياً أو نحوياً، أو عُرفاً في الاستعمال. وقد يكون ضرورة شعرية.

1.3.1.1.7 الحذف في البنية الصغرى للكلمة المكتوبة (اسماً، كانت أو فعلاً)

يصيب الحذف بنية الكلمة المكتوبة الصغرى عادة في الضرورات الشعرية، أو لعلة نحوية أو صرفية، أو لهما معاً، أو لعرف في الاستعمال.

ومن أمثلتها في الضرورة الشعرية: قصر الممدود، كما في كلمة: صنعاً (والأصل صنعاء) في قول الشاعر (الأفغاني، 1971):

لابدَّ من صنعا وإن طالَ السّفر ولــو تحنّى كألُّ عَــود ودَبِــر

وكما في كلمة: الهيجا (والأصل الهيجاء) في قول عنترة العبسي (عنترة، الديوان، 1970):

وسيفي كانَ في الهيجــا طبيباً يُداوي رأسَ مَنْ يَشكو الصداعا

أو قول مسكين الدارمي في شاهد نحوي مشهور (الأفغاني، 1971):

أخاكَ أخاكَ إن مَنْ لا أخا له كســاعٍ إلى الهيجا بغيرِ سلاحِ

وقد يكون سبب الحذف علة صرفية، كحالة الاسم المنقوص الذي تحذف ياؤه في حالتي الرفع والجر، إن لم يكن مضافاً ولا معرفاً بـــ (ال)، بسبب التقاء الساكنين، في مثل قولنا: "هذا محامٍ، ومررت بقاضٍ".

وظاهرة الحذف لالتقاء الساكنين هذه مطردة في اللغة العربية أينما وقعت في الكلمة. ويمكننا أن نعطي أنموذجاً آخر عليها ما يحصل من حذف لعين الفعل المضارع الأجوف في حالة الجزم، وفي صيغة الأمر. ومثال الحالة الأولى قولنا: "لم يَكُنْ (الأصل يكون) في مقدوري أن أُخلِف وعدي، ولم يَقُلْ (الأصل يقول) إلا الصدقَ، ولم يَعُدْ (الأصل يعود) بَعْدُ من سفره". ومثال الحذف في صيغة الأمر قولنا: "قُلْ خيراً، وبِعْ رزقاً حلالاً، ودُمْ طاهرَ الذيل".

ومن أمثلة الحذف المطرد في الأفعال الثلاثية حذفُ فاء الفعل المثال في المضارع والأمر منه، إن كان من باب (فَعَلَ يَفْعِلُ)، كقولنا: "يَقِفُ الكريمُ مرفوعَ الرأس، ويَعِدُ فيَفِي بوعْده"، وقولنا: "عِدْ صادقاً، وقِفْ شامخاً". ولن نورد هنا حالة المصدر من هذه الأفعال؛ لأن الحذف والإثبات فيه جائزان، ولأن الحذف إذا ما حصل عُوِّض عنه بتاء زائدة.

أما الحذف لعلة نحوية فمثاله حالة الفعل المضارع الناقص إذا جُزِم، كقولنا: "لم أنسَ صنيعَك، ولم أرْجُ المودةَ من جاحد، ولم أُخْفِ قلقي من المستقبل"، وحالة صيغة الأمر منه، في قولنا: "ابتغِ الخيرَ مما تصنعُ، واتّقِ اللهَ فيما تقولُ، وادعُ إلى الكلمة الطيّبة".

وقد يكون الحذف لعلتين: صرفية ونحوية معاً، ونموذجه الأفعال اللفيفة المفروقة (باعتبارها أفعالاً تجمع خصائص المثال والناقص معاً) في حالة الأمر، كقولنا: "فِ يا صديقي بما وعدت"، و"قِ سُمعتَك من أَلسنة اللائمين". وهي حالة، بل **ظاهرة نموذجية مدهشة في الاختزال اللغوي**: إنها تصيب الأصل الثلاثي المجرد للفعل، فتحذف فاءه ولامه، وتبقيه على حرف واحد (هو عينه) التي يستطيع بها الصمود متماسكاً، بصفته كلمة مكتوبة مستقلة، إلا في حالة الوقف عليه في نهاية الكلام، لتعذّر النطق به موقوفاً عليه، فيُؤتَى بهاء ساكنة اخترعتها عبقريةُ العربي المذهلةُ، لِتُحقِّقَ اطّراد النظام المبدع لهذه اللغة العملاقة، كما في قولنا: "يا سعيدُ وعدَك فِهْ، ويا سليمُ نفسَكَ قِهْ". والباهر في هذه اللغة العجيبة أن الحرف: الفعل (قِ) ليس كلمة مكتوبة بحد ذاتها فقط، بل **هو جملة في حدها الأدنى مستوفية ركنيها الأساسيين، وهما المسند والمسند إليه**، على اعتبار أن الفاعل في فعل الأمر (قِ) ضميرٌ مستتر فيه وجوباً، (وليس جوازاً؛ لأن الجواز يسمح بحلول الاسم الظاهر محل الضمير المستتر العائد إليه، جوازاً. ومن هنا كان الاستتار الجائز)، تقديره أنت. وهي ليست جملة فقط بل هي كلام تام المعنى (راجع التمييز بين الجملة والكلام في الفقرة 9.6). وكل ما عدا المسند والمسند إليه بعد ذلك في الجملة هو توسيع لِطَيفها الدلالي. **ولعلنا لا نجانب الصواب إن قلنا: إن هذه الحالة الساحرة هي أَحَدُ الأمثلة النادرة جداً، إن لم نقل: الفريدة في لغات العالم، التي يمكن الاستناد إليها بثقة في وصف اللغة العربية بالعملاقة المبدعة العبقرية!**

وربما كان الحذف في البنية الصغرى للكلمة ناجماً عن عُرْف في الاستعمال، لا عن علة صرفية أو نحوية، كالفعل المضارع: **تَكَلَّمُ** (الأصل تَتَكَلَّمُ على وزن تَتَفَعَّلُ) الذي ورد في الاستعمال على صيغة **(تَفَعَّلَ)** من دون التاء المزيدة في قوله تعالى: "ويومَ يأتِ لا **تَكَلَّمُ** نفسٌ إلا بإذنِه" (سورة **هود**، الآية 105)، وقوله جل جلاله: "ولقد كنتم **تَمَنَّونَ** الموتَ" (سورة **آل عمران**، الآية 134)؛ والفعل: **استَطاعَ** الذي ورد في الاستعمال على صيغة **(استفعل)** من دون التاء المزيدة، في قوله تعالى: "ذلك تأويل ما لم **تَسْطِعْ** عليه صبراً" (سورة **الكهف**، الآية 82)، وقوله جل وعلا: "فما **اسْطَاعُوا** أن يَظْهَرُوه وما **اسْطَاعُوا** لهُ نَقْباً" (سورة **الكهف**، الآية 97)،

وقول طرفة بن العبد في معلقته (التبريزي، 1974) :

فإن كنتَ لا **تَسْطِيْعُ** دفعَ منيَّتي فدعْنـــي أُبادرْهـــا بمـــا ملَكَت يدي

وكالفعل **تَسَاقَطُ** الذي ورد أيضاً في الاستعمال على صيغة **(تَفَاعَلَ)** من دون التاء المزيدة في قول ابن الرومي يرثي ولده محمداً (ابن الرومي، الديوان)، :

وظلَّ على الأيدي **تَسَاقَطُ** نفسُهُ ويَذوي كما يَذوي القضيبُ منَ الرَّند

ومثله الفعل **تَمَيَّزُ** الذي ورد في صيغة **(تَفَعَّلَ)** من دون تاء المضارعة المزيدة في أول الفعل، في قوله تعالى: "تكادُ **تَمَيَّزُ** من الغيظِ" (سورة **المُلك**، الآية 8). ويكثر حذف تاء المضارعة هذه من (تفعّل) و(تفاعل) و(استفعل) في الاستعمال، ولا سيما في الشعر.

2.3.1.1.7 الحذف في البنية الكبرى للكلمة المكتوبة

من أمثلة الحذف لعلة صرفية في البنية الكبرى للكلمة المكتوبة، حالة الأفعال الناقصة التي تتصل بها واو الجماعة (في صيغها الثلاث: الماضي والمضارع والأمر) أو ياء المؤنثة المخاطبة (في صيغتي المضارع والأمر)، كحذف الألف والواو والياء من الأفعال المضارعة (يسعى ويرجو ويبني) في المثال الآتي: "الخيّرون يسعَون إلى الخير، ويرجُون ثوابَه عند الله، ويبنُون مجدَهم بأفعالهم"؛ وحذفها كذلك من الأفعال المضارعة في قولنا: (أنتِ أمٌّ صالحة ترعَيْن أسرتَك، وترجِيْن سعادتَها، وتبنِيْن مستقبَلها".

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما يعتري همزة الوصل من حذف واجب، سببه التقاء الساكنين، إن دخلت عليها اللام، جارّة كانت أو قَسَميّة، أو مؤكِّدة، أو للاستغاثة، أو للتعجب. وأمثلتها على التوالي: "تعطَى الصدقةُ **للفقراء**"، و"**لَلآخرةُ** خيرٌ لك من الأولى" (سورة **الضحى**، الآية 4)، و"**لَلعلمُ** أفضلُ زاد"، و"يا **لَلْكُرماءِ لِلْمحتاجين**"، و"يا **لَلْبحرِ!**".

ومن أمثلة حذف همزة الوصل الواجب، لالتقاء الساكنين، وقوعُها مكسورة بعد همزة الاستفهام، كما في قولنا: "أَسْتعلَمْتَ الأمرَ؟"، و"أَبْنُك خالدٌ؟"، و"أَسْمُك سليمٌ؟"، أو لوقوعها

مضمومة أو مكسورة بين واو العطف أو الاستئناف وهمزة الفعل المهموز الفاء، كقولنا: "وَأْبَه له"، أو كقوله تعالى: "وَأْمُر قومَك" الوارد في الآية 45 من سورة **الأعراف**، ونصها: "وكتبْنا له في الألواحِ من كلِّ شيءٍ موعظة وتفصيلاً لكلِّ شيءٍ، فخُذْها بقوةٍ **وأْمُرْ** قومَك يأخذُوها بأحسنِها، سأُريكم دارَ الفاسقين" (سورة **الأعراف**، الآية 145).

ومن أمثلته أيضاً، حذف واو الجماعة أو ياء المؤنثة المخاطبة ونون الرفع معاً من المضارع، المؤكد بالنون في مثل قولنا: "واللهِ لَتدعُنَّ يا قومُ إلى الوئام، ولَتُحسِنِنَّ يا ليلى إلى المحتاجين". لقد حُذِفَت واو الجماعة ولام الفعل قبلها، وحُذِفَت ياء المؤنثة المخاطبة؛ لالتقاء الساكنين، وحُذِفَت نون الرفع؛ لتوالي الأمثال. ولكن واو الجماعة وياء المؤنثة المخاطبة تُثبَتان إذا كانت عين الفعل الناقص المتصل بهما المؤكد بالنون مفتوحةً، كما في قولنا: "واللهِ لتَخشَوُنَّ (ولتَخشَينَّ) اللهَ، ولتَسعَوُنَّ (ولتَسعَينَّ) إلى الخير". غيرَ أن الحذف طال، في هذه الحالة، لامَ الفعلين الناقصين (يخشى ويسعى) المسنَدَين إليهما، فبقي المحذوفان في كلٍّ من الفعلين لام الفعل الناقص ونون رفع الأفعال الخمسة. وتُحذَف نون الرفع هذه وحدها، لتوالي الأمثال لدى اتصال الأفعال الخمسة بألف الاثنين، كما في قولنا: "واللهِ لتنُجِزانِّ وعدَكما".

ومن أمثلة الحذف لعلة نحوية، حالة المضارع في الأفعال الخمسة عند النصب والجزم، كقولنا: "لم يتصرّفوا إلا بما يرضي اللهَ، ولن يفعلوا إلا ما فيه الخيرُ". ولكن الملاحَظ هنا أن الحرف المحذوف (نون الرفع) قد عُوِّض عنه بالألف الفارقة، ففقد الحذف بذلك قيمته الكمية، لا الجمالية.

وقد يكون الحذف في البنية الكبرى للكلمة المكتوبة ناجماً عن عُرْف في الاستعمال، ومثاله: حذف الألف من آخر (ما) الاستفهامية إن سبقت بحرف جر، كقولنا: (بِمَ فكرتَ؟ وإلامَ ذهبتَ؟ وعلامَ استقرَّ رأيُك؟). ومن ذلك ما احتُفِظ به من عُرف في الكتابة لا يُقاس عليه، في مثل: حذف همزة الوصل في البسملة، والألف من (لكنّ: الحرف المشبه بالفعل)، ومن (ها) التنبيه في مطلع أسماء الإشارة، إن لم تفصل عنها بفاصل، هو، في الأعم الأغلب، ضمائر الرفع

المنفصلة في مثل: "هذا أخي، وهذه أختي، وها أنت ذا، وها نحن أولاء". ولكن النابغة فصَل بينهما بـــ (إنَّ) في قوله (التبريزي، 1974):

ها إنّ تا عذرةٌ إلا تكنْ نفعَت فإن صاحبَها قد تاه في البلد

إن ظاهرة الحذف هذه تشكل مزية جمالية تؤدي في مختلف الحالات السابقة، إلى اختزال كميٍّ كبير في حجم مفردات النص المكتوب، يؤدي وظيفة اختزالية مبدعة تضفي على النص جمالاً ورشاقة وتناسقاً قل نظيرها، إن لم يكن منعدماً، في لغات أخرى.

4.1.1.7 ظاهرة الإدغام: الإدغام هو: الجمع بين حرفين من مخرج واحد، متماثلين كانا أو غير متماثلين. وسنعالجه هنا من حيث هو مظهر من مظاهر الاختزال، فلا نتناول منه إلا الإدغام المطّرد. وهو نوعان: إدغام المتماثلين وإدغام المتقاربين. والإدغام فيما يخص جمالية الكتابة العربية يقلّص مساحة الكلمة المكتوبة. فالحرفان المدغمان يبقيان رسماً على حرف واحد، ويعبَّر عن الظاهرة بالشَّدَّة التي تأخذ مكانها فوق الحرف، فتضفي عليه مسحة من الجمال الشكلي، ولا تأخذ حيّزاً على السطر.

1.4.1.1.7 إدغام المتماثلَين في البنية الصغرى للكلمة المكتوبة

إن النموذج الأشهر لإدغام المتماثلين في هذه الحالة هو إدغام عين الفعل ولامه، كما في "مدَّ ومرَّ وعضَّ وعفَّ". ويكون في صيغ الفعل الثلاث: الماضي والمضارع والأمر، وفي المصدر. غير أن الإدغام واجب الفك إن اتصل الماضي بالتاء المتحركة أو(نا) الدالة على الفاعلين، كما في: "مددْت، ومررْت، وعففْت" و"مددْنا، ومررْنا، وعففْنا"، وهو جائز في الأمر منه كما في: "مُدَّ وامدُدْ، ومُرَّ وامرُرْ"، وفي مضارعه المجزوم، كما في: "لم يمدَّ، ولم يمدُدْ، ولم يمرَّ، ولم يمرُرْ".

2.4.1.1.7 إدغام المتماثلَين في البنية الكبرى للكلمة المكتوبة

من أمثلة هذه الحالة إدغام نون الوقاية بنون حرفي الجر (من وعن) لدى اتصالهما بياء المتكلم. لقد جيء بنون الوقاية لتقيَ حركة حرف الجر الساكنة من أن تُكسر لتناسب الياء،

ولتسهّل نطق الكلمة الجديدة، فأدى ذلك إلى توالى حرفين متماثلين، أولهما ساكن والثاني متحرك، فوجب الإدغام، وصارت الكلمتان: (منِّي وعنِّي).

ومنها أيضاً إدغام نون ضمير الجمع المتكلم (نا) بنون الأفعال التي لامها نون، مثل:(سَكَنَ)، إن اتصل بها، كما في قولنا: "**سكنَّا** في بيت جميل". ومثل ذلك إدغام ضمير المفرد المتكلم، بتاء الأفعال التي لامها تاء، مثل: (صَمَتَ) لدى اتصاله بها، كما في قولنا: "**صمتُّ** عندما بدأ الخطيب يلقي خطبته".

ومن هذا القبيل كذلك إدغام همزة الثلاثي المهموز الفاء بهمزة (أفعل) عند زيادتها على الفعل، مع المفرد المتكلم أو المخاطب، مذكَّراً كان أو مؤنثاً، وهو إدغام واجب، كقولنا: (آمنتُ وآنستَ وآثرتِ). ويجتمع الإدغامان إن اتصل بالفعل (آمَنَ) ضمير الجمع المتكلم (نا)، كما في قولنا: "آمَنّا".

3.4.1.1.7 إدغام المتقاربَين في البنية الكبرى للكلمة المكتوبة

ومنه إدغام وحدتين لغويتين صُغرَيَيْن حاملتين لمعنى لتشكلان معاً بنية كبرى: (حرف معنى آخره ألف مقصورة، وضمير المتكلم المفرد: الياء)، كما في: (إلِيّ وعَلَيّ وفِيّ). وهذا من باب إدغام **المتقاربَين** في المخرج لا المتماثلَين.

ومنه كذلك إدغام همزة الاستفهام بهمزة (ال) التعريف (الوصلية) التي تتصدر الكلمة التي تليها، بعد قلبها ألفاً، ليصبح مخرجهما واحداً. والإدغام هنا واجب، كما في قولنا: "آلصمت أبلغُ في بعض المواقف الصعبة أم الصراخُ؟". إلا إذا حذفت همزة الوصل من (ال) التعريف لدى اجتماعها بهمزة الاستفهام قبلها، فتكتب الهمزة عندئذ هكذا: "أَلصمتُ أبلغُ في بعض المواقف الصعبة أم الصراخُ؟". والأمران جائزان. "وليس لقائلٍ بأحد الوجهين تخطئة الآخر الآن"، على حد قول الأفغاني، وإن كان المدّ في رأيه أوضح (الأفغاني، 1971). أما في رأينا نحن، فالمدّ أوضح وأجمل.

ومثل هذه الحالة أيضاً إدغام همزة الفعل المهموز اللام بألف الاثنين إذا ما أسند الفعل إليها

في مثل (نَشَآ). **وهذا الإدغام ينبغي أن يكون هنا واجباً أيضاً**، طبقاً لتعريف الكلمة المكتوبة الذي سبق أن اعتمدناه، وطبقاً للمسوغات التي قدمناها في الفقرة (2.1.1.7) لاعتبار الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى، التي تقوم بنيتها الكتابية على حرف واحد، غيرَ قابلة للحياة والاستعمال مستقلةً بنفسها في شكل كلمة، في نظام اللغة العربية إن كانت **أسماء (ضمائر متصلة)**، أو **حروف معانٍ**؛ لأنها جزء من مكونات الكلمة المكتوبة التي تشكّل بنيةً كبرى.

والمنطق الشكلي الكلي لقاعدة الإدغام الواجب يتحتّم تعميمه على اللواحق، كما عُمِّم على السوابق، باعتبار أنها جميعاً (السوابق واللواحق) أجزاء من البنية الكبرى للكلمة المكتوبة كما سبق أن شرحنا. فإذا كان إدغام همزة الاستفهام بهمزة (ال) التعريف الوصلية في أول الكلمة، بعد قلبها ألفاً، إدغاماً واجباً؛ لأنهما غدَوا من مخرج واحد، فلِمَ لا يكون إدغام الهمزةِ: عينِ الفعل، بألف الاثنين، وهما بالطريقة ذاتها من مخرج واحد، واجباً أيضاً، كما في قولنا: "إن أخويّ نشآ نشأة صالحة"؟ إن الألف صوت يُنطَقُ بالطريقة عينها، سواءٌ أكان حرفاً أم ضميراً متصلاً. ولم يَمْنَح نظامُ اللغة العربية الضمائرَ المتصلة، التي هي بحكم التصنيف أسماء، والتي تقوم في بنيتها الخطية على حرف واحد، خاصيةَ أن تستقل بنفسها كلمة مكتوبة في حدودها المتعارف عليها (فراغ من الجانبين كما سبق أن بيّنّا) مثل بقية الأسماء (ومن بينها الضمائر المنفصلة)، بل جعلها جزءاً من الكلمة في بنيتها الكبرى، متبوعة أحياناً بالألف الفارقة (واو الجماعة في الماضي والأمر عموماً، وفي مضارع الأفعال الخمسة المنصوب أو المجزوم) أو بنون الرفع في الأفعال الخمسة مطلقاً (واو الجماعة وألف الاثنين وياء المؤنثة المخاطَبة).

وإذا كان الأمر كذلك فإن همزة (نشآ) في المثال السابق أو (ينشآن) في مضارع الأفعال الخمسة، **تصبح متوسطة لا متطرفة، تكتب على ألف، طبقاً للقاعدة المطردة للهمزة المتوسطة:** إنها هنا مفتوحة وما قبلها مفتوح، فهي تكتب على ألف (وفي الأصل: قبل الإسناد إلى ألف الاثنين، كانت مكتوبة على ألف؛ لأنها كانت متطرفة ما قبلها مفتوح). ولكنّ ما بعدها (ألف الاثنين التي أصبحت جزءاً من الكلمة المكتوبة، بعد إسناد الفعل إليها) واجب الإدغام بها للسبب الذي سبق أن أوضحناه.

إن مثل هذا التحليل المنطقي الكلي، الشديد التماسك، العصي على الاختراق والنقض، لا يترك مجالاً أمام التربويين العرب ليختلفوا على كتابتها بعد ذلك. فإذا ما اعتمدنا هذا التوحيد للقاعدة أرحنا أنفسنا من جدل بيزنطي عقيم، وسهلنا على معلمي اللغة العربية ومتعلميها ومستعمليها، عَنَتَ التخبّط المؤلم وغير المجدي، بين آراء مشتتة لا تعرف الاستقرار، يخطّئ بعضها بعضاً تخطئةً تستحضر في الأذهان بعد قرون طويلة، جدالات البصريين مع الكوفيين في مرحلة تقعيد قواعد اللغة العربية. ومثل هذا التوحيد سيكون حافزاً إضافياً يقرّب غير العرب من اللغة العربية ويحببهم بها.

5.1.1.7 ظاهرة الفعل المجهول الفاعل: يؤدي بناء الفعل للمجهول، ماضياً كان أم مضارعاً، إلى حذف الكلمة التي تقع فاعلاً ظاهراً في الجملة لا ضميراً مستتراً عائداً على كلام قبله، لينوب عنه المفعول به إن كان الفعل متعدياً لواحد. فإن كان متعدياً لاثنين أو ثلاثة ناب عنه المفعول به الأول. ففي قولنا: "كُتِبَتِ الوظيفةُ" ناب المفعول به أصلاً (الوظيفة) عن الفاعل. وفي جملة: "أُخبِرَ الطلابُ أن الرحلة أُجِّلَت"، نائبا فاعل، أولهما المفعول به الأول (الطلاب) والثاني الضمير المستتر (هي) في الفعل (أُجِّل)، العائد على اسم إن (الرحلة). وحذف الفاعل الظاهر أو البارز في الكلام يؤدي إلى اختزال حقيقي لكلمةٍ من الجملة. أما الاستتار الجائز للضمير الذي وقع نائب فاعل فوثيق الصلة بظاهرة الضمير المستتر، التي سبق أن تناولناها في الفقرة (1.1.1.7).

2.7 المرونة الكبيرة التي يوفرها نظام اللغة العربية في استعمال الضمائر المتصلة بالنواة (اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً)

تتمتع اللغة العربية بمرونة كبيرة في استعمال الضمائر المتصلة، تمنحها خيارات واسعة جداً، وغنىً غير محدود، وقدرة على التعبير الموجَز بعيدة المدى، يمكن أن تصل أحياناً إلى درجة التباس المعنى، إذا لم تُضبَط بدقة حركةُ عَوْد الضمائر. وبيت الفرزدق في مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك بن مروان، الذي عُدَّ نموذجاً

للتعقيد، مشهور في كتب البلاغة (القزويني، 1932):

وما مثلُه في الناسِ إلا مُمَلَّكاً أبو أُمِّهِ حيٌّ أبوهُ يُقاربُهْ

والضمائر المتصلة في اللغة العربية مجموعتان، تختص إحداهما بالاتصال بالاسم أو بحرف الجر؛ لتكون حصراً في محل جر. وهي تشكيلة واسعة جداً بعضها يختص بالتعبير عن **المتكلم: (ياء المتكلم** للمفرد المذكر والمؤنث، و**نا** الدالة على جمع المتكلمين أو مثناهم مذكراً أومؤنثاً)، كما في قولنا: "رافق **أخي أصدقاءنا** للانضمام **إلينا** في **نزهتنا**". فهذه الجملة يمكن أن يدل فيها الضمير (نا) إما على المثنى وإما على الجمع بحسب قرينة الكلام.

وبعضها الآخر يختص بالتعبير عن **المخاطب: (الكاف للمفرد المذكر والمؤنث، والمثنى المذكر والمؤنث، والجمع المذكر والمؤنث)**، على أن تُفتَح (الكاف) مع المخاطب المذكر، وتُكسَر مع المخاطبة المؤنثة، وتضَمَّ وتقترن مع المثنى بـــ (ما): علامة المثنى للمذكر والمؤنث، ومع الجمع المذكر بالميم: علامة جمع الذكور العقلاء، ومع الجمع المؤنث بالنون المشدّدة: علامة الجمع المؤنث، كما في قولنا، على التوالي:"**ذكراكَ** تشدُّني **إليكَ**"، و"**أخلاقُكِ** تسمُو **بكِ**"، و"**عملُكُما** يشفعُ **لكُما**"، و"**أسلوبُكُم** المتردّد يجلبُ **لكُم** المتاعبَ"، و"**إليكُنّ** تشخُصُ أنظارُ **فريقِكُنَّ**".

والقسم الثالث منها يختص بالتعبير عن **الغائب: (الهاء للمفرد المذكر والمؤنث، والمثنى المذكر والمؤنث، والجمع المذكر والمؤنث)**. على أن تقترن (الهاء) مع المفردة المؤنثة بالألف: علامة المؤنثة، ومع المثنى والجمع المذكر والجمع المؤنث، بعلاماتها التي ذُكرت مع الكاف الواقعة في محل جر، وأمثلتها على التوالي: "برَّ **بِهِ أبناؤُه**"، و"برَّ **بهَا أبناؤُها**"، و"عادَ **عليهِما إخلاصُهُما** في **عملِهِما** بنفع كبير"، و"اهتمام مَنْ **حولَهُم بهِم** يعودُ إلى **تميّزهِم**"، و"اهتمام مَنْ **حولَهُنّ بهِنّ** يعودُ إلى **تميّزهِنّ**".

أما المجموعة الثانية التي تختص بالاتصال بالفعل فهي أوسع نطاقاً وكمية وخيارات استعمال؛ لأنها تأتي في فئتين تبعاً لوظيفتها في الكلام: إنها ضمائر رفع حيناً، تأتي فاعلاً أو

نائب فاعل. وهي ضمائر نصب حيناً آخر، تأتي مفعولاً به. ففي الرفع تعمل التاء المتحركة معبّرة عن المفرد المتكلم مذكراً أومؤنثاً، أو المخاطَب مذكراً أو مؤنثاً، كما في قولنا: "**قرأْتُ وقرأْتَ وقرأْتِ**". وفي حين تعبّر التاء الأولى المضمومة عن المفرد سواءٌ أكان مذكراً أم مؤنثاً، تعبّر المفتوحة عن المخاطب المذكر، والمكسورة عن المخاطَبة المؤنثة. وفي الرفع أيضاً تعمل (نا) الدالة على المثنى والجمع من المتكلمين، مذكرَين كانا أو مؤنثَين، والتمييز يكون من خلال السياق، كما في: "**أنجزْنا** ما أُسنِد إلينا من عمل". إن الضمير المتصل (نا) يمكن أن يعبّر هنا عن المثنى المذكر أو المؤنث، أو الجمع المذكر أو المؤنث. والسياق هو الفيصل في تحديد المراد.

وفي النصب تعمل الهاء معبرة عن الغائب في الحالات المختلفة المماثلة للهاء المتصلة بالاسم أو حرف الجر. غير أنها تكون هنا في محل نصبٍ مفعولاً به، كما في: "**رأيتُهُ، ورأيتُهَا، ورأيتُهُمَا، ورأيتُهُم، ورأيتُهُنَّ**".

3.7 القدرة المدهشة لنظام اللغة العربية على ربط عدد كبير من السوابق واللواحق، (وهي بمجملها وحدات لغوية صغرى حاملة لمعنى: أسماء أو أفعال أو حروف)، بالنواة (اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً)

نحن هنا أمام ظاهرة نادرة، إن لم تكن فريدة، في عمل اللغات. فنظام اللغة العربية الذي يسمح بأن **يُشكَّل من كلمة واحدة تقوم بنيتها الفعلية الصغرى المكتوبة، على حرف واحد** (بسبب علل الحذف المختلفة)، **نصاً متماسكاً في حده الأدنى: المسند والمسند إليه**، ومثالها، كما سبق أن بيّنّا، صيغةُ الأمر من الأفعال اللفيفة المفروقة، حين ترد في دَرج الكلام (راجع الفقرة: 1.3.1.1.7)، يتيح في الوقت عينه، وضمن شروط استعمال مختلفة، أن **يُشكَّل من كلمة واحدة في حدود بنيتها الفعلية الكبرى المكتوبة أيضاً، نصٌّ واسع الدلالة يضم في أقصى حالات اتساعه إحدى عشرة كلمة** (تبعاً لتعريفنا للكلمة في بنيتها الصغرى، في الفقرة: 2.6، بأنها: أصغر وحدة لغوية حاملة لمعنى، تتجلى في حدها الأدنى في بنية صغرى غير قابلة

للاختزال)، **وسبعة عشر حرفاً**. وهذه الطاقة الهائلة المبدعة التي يمتلكها نظام اللغة العربية في تشكيل البُنَى الكبرى للكلمة الواحدة، يمنح اللغة العربية أفقَ استعمالٍ واسعاً جداً، يعطي المستعملين خيارات رحبة جداً في التعبير والتدبير، ويكسب الإنتاج اللغوي غنىً وثراء نادرين، يضفيان على الإرث اللغوي وإمكان الخلق والإبداع فيه، جمالاً وسحراً وحيوية، تفتقر إليها لغات كثيرة. وسنقدم، فيما يلي، نماذج للكلمات المكتوبة في اللغة العربية، من أصغر حجم خطي لها إلى أكبره على الإطلاق:

1. إن نموذج الكلمة التي تقوم بنيتها الصغرى المكتوبة، على حرف واحد نجدها فقط في الأفعال: صيغة الأمر من الأفعال المعتلة اللفيفة المفروقة، بشرط ألا تأتي في آخر الكلام، لوجوب إلحاقها بهاء السكت. وقد سبق أن عالجنا هذه المسألة (راجع الفقرة: 1.3.1.1.7). ولا نموذج لها في الأسماء والحروف (راجع الفقرة: 2.1.1.7)؛ لأن الأسماء (الضمائر المتصلة هنا) والحروف (حروف المعاني هنا) المكونة من حرف واحد لم ترد في نظام اللغة العربية كلمةً مكتوبة أو كلمة منطوقة مستقلة بنفسها في سياق الكلام، بل كانت دائماً جزءاً من كلمةٍ تُشكِّل بنيةً كبرى، من خلال اتحاد هذه الكلمات بنواتها في شكل سوابق أو لواحق أو سوابق ولواحق معاً. وقد كنا أعطينا أمثلة على كل حالة.
2. ونموذج الكلمة التي تقوم بنيتها المكتوبة الصغرى على حرفين من الأسماء: (مَنْ) و(ما)، من بين أسماء الاستفهام أو أسماء الشرط الجازمة؛ ومن الأفعال: الأمر من المثال: (قِف) و(عِدْ)، ومن الأجوف: (قُلْ) و(بِعْ)؛ والمضارع المجزوم من اللفيف المفروق: (لم يَفِ، ولم يَعِ). ونموذجه من الحروف: (مِنْ) و(عَنْ) الجارّتين.
3. ونموذجها، إذا كانت بنيتها الصغرى المكتوبة ثلاثة أحرف: (سيف) و(سهم) من الأسماء؛ و(على) و(إلى) الجارّتين من الحروف؛ و(درَس) و(كتَب) من الأفعال.
4. ونموذجها، حين تكون بنيها الصغرى المكتوبة أربعة أحرف: (جعفر) و(خالد) من الأسماء؛ و(يرجو) و(ناضل) من الأفعال؛ و(إذما) الشرطية و(حاشا) الاستثنائية من الحروف.
5. والكلمة المكتوبة المكونة بنيتها الصغرى، من خمسة أحرف، نموذجها في الأسماء:

(هارون) و(عثمان)؛ وفي الأفعال: (تدارك) و(اعتذر). ولا نموذج لها في حروف اللغة العربية (لن نذكر الحروف من هنا وصاعداً، إذ لا وجود لحروف تقوم بنيتها المكتوبة، في اللغة العربية، على خمسة أحرف فما فوق (لن نشير هنا إلى: لكنّ، باعتبار أن الألف محذوفة رسماً، والنون المشددة تبقى رسماً على حرف واحد كما سبق أن وضحنا، فتعود الكلمة ثلاثية الحروف من حيث الأثرُ الخطي المكتوب الذي نأخذه بالاعتبار في التصنيف).

6. ونموذج الكلمة المكونة بنيتها الصغرى المكتوبة، من ستة أحرف في الأسماء: (مستشفى) و(موسيقا)؛ وفي الأفعال: (استوفى) و(استعاد).
7. ونموذجها إن كانت بنيتها الصغرى المكتوبة سبعة أحرف في الأسماء: (موسيقار) و(عاشوراء). أما الأفعال فتنتهي بنيتها الصغرى المكونة في حدها الأقصى، عند ستة أحرف. ولذلك سنذكرها من الآن وصاعداً في بنيتها الكبرى مع السوابق أو اللواحق أو معهما معاً. ومثالها في الأفعال هنا: (استقبلتُ) و(استبشرتُ).
8. ونموذجها، إن كانت بنيتها الصغرى المكتوبة ثمانية أحرف في الأسماء: (فاصولياء)، و(استباقيَّة). ونموذجها في الأفعال إن كانت بنيتها الكبرى المكتوبة ثمانية أحرف: (استقبلتُه) و(استذكرتُه). لم يحسب الحرف المضعف في (استباقيَّة) سوى حرف واحد؛ لأن التضعيف أو الإدغام في اللغة العربية لا يشغل أية مساحة مكتوبة إضافية، بل يعبَّر عنه بشدة فوق الحرف تمنحه مسحة جمالية كما سبق أن بيّنّا (راجع ظاهرة الإدغام: الفقرة: 4.1.1.7).
9. وإن كانت بنيتها الصغرى المكتوبة تسعة أحرف فنموذجها في الأسماء: (استعلائيّة) و(استنسابيّة)، ونموذجها في الأفعال: (أتَكتُبانِها؟ و(استقبلتُهم).
10. وإن كانت بنيتها الصغرى المكتوبة عشرة أحرف فنموذجها في الأسماء: (استراتيجيّة) و(أرستقراطيّة) باعتبار أن الكلمتين قد عُرِّبتا ودخلتا معاجم اللغة العربية. ونموذجها في الأفعال: (أفستَسقونَهُم؟) و(أفستَعْتَرِفون؟). وعند عشرة أحرف تنتهي بنية الاسم الصغرى؛ وبعد هذا الحد سنذكرها مقرونة بالسوابق أو باللواحق أو بهما معاً باعتبارها بنية كبرى.

11. وإذا كانت بنيتها الكبرى المكتوبة أحد عشر حرفاً كان نموذجها في الأسماء: (الاستعلائيّة) و(الاستتسابيّة)، وفي الأفعال: (فسيبادلونكم) و(فسيقاسمونكم).
12. ونموذجها، إن كانت بنيتها الكبرى المكتوبة اثني عشر حرفاً: (الاستعلائيون) و(الاستتسابيون)؛ في الأسماء؛ و(أفسيقاسمونكم؟) و(أفسيبادلونكم؟) في الأفعال.
13. وإن كانت بنيتها الكبرى المكتوبة ثلاثة عشر حرفاً فنموذجها في الأسماء: (**أباستعلائيّتهم** يتشدقون؟)، وفي الأفعال: (أفسيعطونَكُمُوها؟).
14. وحين تكون بنيتها المكتوبة أربعة عشر حرفاً يكون نموذجها في الأسماء: (**أفباستتسابيّتهم** يتفاخرون؟)؛ وفي الأفعال: (أفسنستوفيكُمُوها؟)
15. وعندما تكون بنيتها الكبرى المكتوبة خمسة عشر حرفاً يكون نموذجها في الأسماء: (**أفباستتسابيّتهما** يتفاخران؟)، وفي الأفعال: (أفسيَستسقونَكُمُوها؟).
16. ونموذجها حين تكون بنيتها الكبرى المكتوبة ستة عشر حرفاً في الأسماء: (**أفبأرستقراطياتهم** يتفاخرون؟)، وهنا أيضاً حسبت الياء المشدّدة حرفاً واحداً. ونموذجها في الأفعال: (أفسيستسقيانِكُمُوها؟) و(أفسيستسقيانِكُمُوهُنّ؟). إن النون المشددة هنا، المعبرة عن الإدغام الذي يجعل بنية الكلمة من وجهة نظر رقمية سبعة عشر حرفاً، لا تشغل في الحيز المكتوب سوى مساحة حرف واحد؛ ولذلك لم نحسب في هذه الكلمة سوى ستة عشر حرفاً، انسجاماً مع تعريفنا الإجرائي للكلمة المكتوبة، ومع التوضيح الذي قدمناه لدى الحديث عن ظاهرة الإدغام (راجع ظاهرة الإدغام: الفقرة: 4.1.1.7).
17. أما إن كانت بنيتها الكبرى المكتوبة سبعة عشر حرفاً فإن نموذجها في الأسماء: (**أفباستراتيجياتهما** يتفاخران؟). وهنا أيضاً لم نحسب الياء المشددة سوى حرفٍ واحد. ونموذجها في الأفعال: (أفسيستسقيانِكُمَاهُما) أو (أفسيستسقيانِكُمُوهُما).

إن الكلمات السابقات التي شكلناها من سبعة عشر حرفاً مكتوباً في الأسماء والأفعال هي أطول كلمات يمكن تشكيلها في اللغة العربية على الإطلاق. وهي ليست كلمات صناعية غير ممكنة الاستعمال، بل هي قابلة للاستعمال حين تقتضي ذلك الحاجة الظرفية وشروط الاتصال

الواقعي. ولكنّ منطق الاستعمال اللغوي الذي يجنح دائماً إلى الطابع السريع والمرن والسهل في التبادل اللغوي الحي، يدعونا إلى القول: إن ظروف استعمال هذا النوع من الكلام نادرة. وإن حصل ذلك فإنه يكون بين متخصصين متعمقين في اللغة، ولأغراض البحث اللغوي على وجه الخصوص، على نحو ما نقوم به الآن.

إن هذا المنهج الاستقصائي الشكلي الكلي الرياضي في ضبط بنية الكلمة العربية يقدم للباحثين اللغويين على وجه الخصوص، وقائع لغوية تمكنهم من المقارنة بين اللغات البشرية وطاقاتها الإبداعية الخلاقة. وهذا، على وجه الدقة، ما كنا سعينا إليه منذ اللحظة التي تبدت لنا فيها فكرة هذا البحث، وظلت، مذ ذاك، هاجساً ضاغطاً مُلِحّاً، حتى لحظة الشروع به، وتجسيدِه بحثاً حياً متأمِّلاً مستقصياً موضوعياً ينقّب في خفايا الأسرار المدهشة للغتنا العربية؛ لتظهيرها ووضعها بين أيدي المعنيين بها والمهتمين بنشر كنوزها ونفائسها.

وإذا كانت البنية الاسمية للكلمة ضيقةَ المدى الدلالي، لأنها تستقي وظيفتها من موقعها في الكلام، الذي يمنحها دوراً محدداً لا يعدو أن يكون، في التركيب الذي قدمناه، وظيفةَ جار ومجرور جاءا في حيز استفهام أوجب تعليقهما بالفعل (يتفاخران)، وأضيف الاسم المجرور إلى هاء الغائب الدالة على المثنى بقرينة وجود علامة التثنية (ما)؛ لتحديد هوية المضاف، فإن العبقري في البنية الفعلية للكلمتين المكتوبتين الموازيتين: (أفسيستسقيانِكُماهُما) أو **(أفسيستسقيانِكُمُوهُما) أن كلاً منهما، تنطوي، من وجهة نظر بنيوية ودلالية، على نص متكامل غني بالمعاني والدلالات. إن الأولى منهما تؤلف بين عشر كلمات، والثانية تولف بين إحدى عشرة كلمة عربية، تشكل كلٌّ واحدة منها وحدةً لغوية صغرى حاملة لمعنى، غيرَ قابلة للاختزال** (راجع تعريف الكلمة في نظام اللغة العربية). **وفي هذا يكمن أحد أسرار عبقرية اللغة العربية وتفردها، وقدرتها غير المحدودة على الخلق والإبداع.**

وإذا فصّلنا مكونات **الكلمة المكتوبة الثانية المدهشة** (أي وحداتها الدنيا الحاملة لمعنى، غير القابلة للاختزال)، **باعتبارها تضم أكبرَ عدد ممكن من الوحدات الدنيا في اللغة العربية**

على الإطلاق، (ومثالها: أفسيستسقيانكُمُوهُما؟، المكون من 17 حرفاً مكتوباً) نجد ما يلي (وقياساً عليها يمكن تفصيل مكونات الكلمة المكتوبة الأولى):

1. همزة الاستفهام (أ).
2. فاء الاستئناف أو العطف (ف) تبعاً لما يمكن أن يكون عليه سياق الكلام قبلها.
3. سين الاستقبال.
4. الفعل المضارع: (يستسقي) الذي يشكل نواة البنية الكبرى لهذه الكلمة المكتوبة.
5. ألف الاثنين: الفاعل.
6. النون: علامة رفع الأفعال الخمسة.
7. كاف المخاطَب المفرد: المفعول به الأول.
8. الميم التي تلحق بكاف المخاطَب للدلالة على جمع الذكور.
9. **الواو التي سأطلق عليها تسميةً ربما كانت جديدة كلياً في اللغة العربية،** منطلِقاً من الوظيفة التي أدتها في الكلمة المكتوبة، وهي، بوضوح لا لُبس فيه، **تحقيق وصل (الهاء): المفعول به الثاني، الذي هو ضمير متصل (ومن هنا كانت ضرورة استعمال الواو) بالفعل النواة الذي تَعدّى إليه. سأسميها إذن: الواوَ الوصلية، وأضيفها إلى قائمة حروف المعاني،** لأن ابن هشام لم يُضِف وظيفتها إلى وظائف الواو التي أوردها في كتابه الجامع: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب.** وواضح من بنية الكلمة أن هذه **الواو للوصل** كما أسلفنا، وليست لإشباع حركة الضم قبلها؛ لأنها ليست في موقع الضرورة الشعرية كما في قول الشاعر:

وإنني حيثُما يُثني الهوى بَصَري من حوثُما سلَكُوا أدْنو **فأنْظُور**

لقد أشبعت الضمة في الفعل: **أَنْظُرُ، للضرورة الشعرية، فصارت واواً.** والبيت شاهد نحوي مجهول القائل. وكقول قيس بن زهير:

أَلَــم **يأتيــكَ** والأنبــاءُ تــنمي بمــا لاقَــتْ لَبُــونُ بني زياد

الذي أُشبِعَتْ فيه حركة الكسر في الفعل **يأتِك المجزوم أصلاً بلم**، فصار: **ياتيكَ**، والذي يُفترض أن تكون علامة جزمه حذف حرف العلة: **الياء**، من آخره. والبيتان من شواهد **مغني اللبيب** لابن هشام (1969، ص114 وص 407).

10. هاء الغائب: المفعول به الثاني.
11. (ما) التي تلحق بالضمائر المتصلة (التاء والكاف والهاء)، لتدل على المثنى المذكر أو المؤنث، المتكلم أو المخاطب أو الغائب.

ولتبسيط هذه الكلمة المكتوبة التي شَكَّلَتْ **نصاً متكاملاً** غنياً بالمعاني والدلالات، كما سبق أن قدمنا، سنفككها إلى مكوناتها الأساسيَّة، مستعملين، بتكثيف شديد، الأسماء بدائل للضمائر الواردة فيها، ومُبرِزين معنى الزيادة في الفعل النواة وما تتطلبه، مع الحفاظ على بنيتها المختزَلة في حدها الأدنى وطاقتها التعبيرية التي تمتلكها. سنعيد تشكيلها على الشكل الآتي: "**أفسيطلبُ إليكم هذان السيدان أن تسقوهما هاتين الكأسين**" (من الماء أو العصير أو سواهما).

لقد أضفنا فعل (طلب) الذي يفسر زيادة الألف والسين والتاء على الثلاثي المجرد، وما تَطَلَّبَهُ من إدخال (إليكم)، ليستقيم المعنى، واستبدلنا بالضمائر ما يعبر عنها من أسماء، **فبدا النصُّ: الجملةُ الكبرى، في معناه الأوضحِ، وبنيتِه الأكثر اختصاراً، المكوَّنةِ في الشكل الجديد من ثماني كلمات مكتوبة.**

إن هذه الكلمات المكتوبة الثماني أو تلك الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى، الإحدى عشرة، قد اختُصِرَت جميعُها في كلمة مكتوبة واحدة هي: (أفسيَستَسقِيانِكمُوهُما).

أفليست هذه القدرة العجيبة للنظام اللغوي العربي على ربط عدد كبير من السوابق واللواحق في كلمة واحدة مدعاة لوصفها، مرة أخرى، بالعبقرية والمتفردة والعملاقة؟!

4.7 جمالية الخط العربي

يتمتع الخط العربي بخصائص جمالية مميَّزة جداً، تتطلب دِقة ورَهافة وحِذْقاً في رسم

الحرف وتشكيله على النحو الذي تقتضيه قواعد الخط المقصود وأصوله. وقد ارتبط الخط العربي، بصورة غير مباشرة، بفني الرسم والنحت اللذين كانا محظورين في الإسلام، لأسباب ليس البحث في معرض شرحها. والحديث النبوي الشريف خير شاهد على ذلك. لقد رُوِيَ عن النبي (ص) قولُه: "إن مِنْ أشدِّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ المصورون". ويورد النحويون (أورد ابن هشام الأنصاري في: **مغني اللبيب**، لدى الحديث عن: إنَّ) هذا الحديثَ شاهداً على تقدير ضمير الشأن اسماً لـــ (إنَّ)؛ لأن كلمة (المصورون) جاءت مبتدأ مرفوعاً تقدم عليه خبره: الجار والمجرور. أما خبر (إنَّ) فالجملة الصغرى: (من أشد الناس عذاباً المصورون).

إن انصراف المسلمين عن النحت والرسم وما يرتبط بهما من فنون فرعية جعل اهتمامهم الفني يتجه نحو الخط والتفنّن في أشكاله، فظهرت بنتيجة ذلك وتطورت، أشكال متعددة منه، لكل منها قواعده وأصوله. ومن أشهر أشكال الخط العربي: (عمار والفاعور، 2004)

- **الكوفيُّ** الذي دوِّن به القران الكريم في مراحله الأولى إبّانَ نهضة الدولة العربية الإسلامية. وهو خط هندسي يعتمد التقسيمات والمساحات الموزونة. وقد خرج هذا الخط من المصاحف الأولى إلى التكوينات المعمارية، فزُينت بالآيات القرآنية المنقوشة به مداخل القصور والقلاع وجدرانها. وانتقل من الكوفة حيث نشأ، إلى بقية أرجاء العالم الإسلامي.
- **الثُّلُثُ** الذي هو بمنزلة الخط العربي التقليدي الذي يجب أن تكون عليه الكتابة المثالية في جمالها ورونقها. وهو خط يتطلب استعماله قدرة فائقة على التحكم بالحرف والتوازن في تشكيله. إنه من أصعب أشكال الخط العربي. ولذلك سُمِّي بـــ "أم الخطوط".
- **النَّسخُ** الذي هو ثُلُثيٌّ مبسَّط. وخط القرآن الكريم تمتزج فيه بعض خصائص الثُّلُث مع خصائص النسخ. وقد تطور هذا الخط في أيامنا نحو البساطة. وسمِّي بالنسخ؛ لأن الكتّاب كانوا ينسخون به المصحف الشريف.
- **الرّقعة** الذي هو خط الكتابة اليدوية السريعة. وقد روعيت فيه السهولة والبساطة.
- **الديواني** الذي هو خط زخرفي حركي يتمتع بالأبَّهة والأرستقراطية، فيه منحنيات ومدات بالغة البعد. وهو الخط الذي اعتُمِد في الكتابات الرسمية في ديوان الدولة العثمانية.

- **الخط الفارسي** الذي اعتمده الفرس والعجم، وبه كانوا يكتبون رسائلهم وكتبهم.

5.7. ظواهر جمالية أخرى في نظام الكتابة العربية

تبرز في نظام الكتابة العربية العربية ظواهر أخرى جمالية تناولنا بعضها بوضوح كافٍ، (**ظاهرةَ هاء السكت** في معرض الحديث عن الحذف، و**ظاهرةَ الواو الوصلية** لدى الحديث عن القدرة المدهشة للنظام اللغوي العربي على ربط عدد كبير من السوابق واللواحق، بالنواة)، يعفينا من التكرار هنا، فلنعدْ إليها في مكانها من البحث. أما **الظاهرة الجمالية الثالثة** فهي: **نون الوقاية**. واسمها يدل عليها؛ لأنه اشتُقَّ من وظيفتها في الكلام، وهي **وقاية حركة البناء أو الإعراب في الفعل** أيّاً كان زمانه، وأيّاً كان نوعه وموقعه في الكلام؛ **وفي بعض حروف المعاني**. أما الأسماء فلا تحتاج إلى هذه النون لدى اتصالها بياء المتكلم، إذ يُكسَر آخرها لمناسبة الياء وتقدر الحركة الإعرابية.

ونون الوقاية ملازِمةٌ، في حالات محددة سنوضحها، لضمير المفرد المتكلم (ياء المتكلم) الذي يفرض على الحرف الذي يسبقه، وهو الحرف الأخير من الكلمة التي يتصل هذا الضمير بها (اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً)، أن يُحرَّك بالكسر وجوباً، ليناسب الياء في النطق. والحرف الأخير في الكلمة هو الذي تظهر علية حركة البناء أو الإعراب. فإذا اتصلت (ياء المتكلم) به أوجبت أن تكون حركته الكسر. إن هذا التغير الطارئ (الكسر) في موقع حركة البناء أو الإعراب في الكلمة المتصلة بياء المتكلم يغيّب الحركة الأصلية إذن، (إن لم تكن الكسرة، لأنها موجودة أصلاً قبل مجيء ياء المتكلم. وهذه المسألة فيها نظر). وهذا التغير يفسر قول النحاة لدى إعراب الاسم الذي تتصل به ياء المتكلم: إنه مرفوع أو منصوب أو مجرور، وعلامة رفعه أو نصبه أو جره، ضمة أو فتحة أو كسرة مقدرة قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسِبة.

ولكن المنطق الشكلي الكلي لوجوب تحريك ما قبلَ ياء المتكلم في الكلمة المضافة إليها أو الموصولة بها، بالكسر ليناسب هذه الياءَ، أياً كانت حركتُه الأصلية، تجعلنا أميلَ إلى إطلاق

القاعدة من دون تقييد. ولو لم يكن في النظام اللغوي العربي كسرةٌ على سبيل المثال لما حصل هذا الاستثناء. وهذا المنطق يفترض أن تكون الكسرة السابقة لياء المتكلم كسرةً **مستحدثةً اقتضاها** دخول ياء المتكلم على الكلمة، وأن تكون الكسرة الأصلية **مُغَيَّبة وجوباً**. وهذا معنى تقدير حركة ما قبل ياء المتكلم، واشتغال محلها بالكسر. غيرَ أن **نزعة التبسيط والتسهيل في التعليم** تجعلنا نغُضّ الطرفَ عن هذا الاستثناء في القاعدة المطلقة.

ولحماية هذه الحركة البنائية أو الإعرابية الأصلية من التغييب، وتسهيل نطق الكلمة النواة، إن كانت فعلاً أو حرفاً، لدى اتصالها بياء المتكلم، والحفاظ على تماسك النظام اللغوي العربي واستقراره، وضمان سيرورة قواعده واطِّرادها على مر الأجيال، ابتَكَر منطقُ العربي البدوي السليم، وحسُّه اللغوي المرهف، ونزعتُه اللغوية الجمالية العفْوية، هذه النونَ التي سماها النحويون فيما بعد: **نونَ الوقاية**؛ لأن عِلّة نشأتها وقايةُ حركة البناء أو الإعراب في الكلمة الموصولة بياء المتكلم من التغييب، وتسهيل نطقها ورشاقته. وبذلك تحافظ الكلمة الجديدة (البنية الكبرى الجديدة) على حركاتها الأصلية كلها، وعلى جمال نطقها وسلاسته، وتستوعب الزائر الجديد (ياء المتكلم) مع متطلبات زيارته الضرورية (نون الوقاية).

وملازَمة نون الوقاية لياء المتكلم، لدى دخولها على الكلمة النواة، فعلاً كانت أو حرفاً، استناداً إلى ما قدمناه، تنظّمه **أربعة أحكام استخلصناها بعد استقراء نماذج كثيرة ممثِّلة لاستعمال نون الوقاية في الكلام العربي:**

1. **وجوب ملازمة نون الوقاية لياء المتكلم مع الأفعال** التي تتصل بها، سواء أكانت مبنيةً، كما في الماضي والأمر، وأمثلتهما: (علَّمَنِي، وذكَّرَنِي، وأدَّبَنِي؛ وعلِّمْنِي، وذكِّرْنِي، وأدِّبْنِي)، أو معربة، كما في المضارع، وأمثلته: (يعلِّمُنِي، ويذكِّرُنِي، ويؤدبُنِي). وسواء أكانت صحيحة أم معتلَّة، في الماضي والمضارع والأمر، وأمثلتهما في المعتل (أمثلة الصحيح ذُكِرت): "أتانِي بخبر طيب، فقلت له: احمِنِي من الأذى، ولا تدعُنِي إلى معصية". ومن أمثلة الصحيح والمعتل، المجزومين المتصلين بياء المتكلم قولُ طَرَفَةَ بن العبد في

معلقته (التبريزي، 1974):

فإن **تَبْغِنِي** في حلْقةِ القومِ **تَلقَنِي** وإن **تَلتَمِسْنِي** في الحوانيتِ تَصْطَدِ

وإن يلتــقِ الحيُّ الجميعُ **تلاقِنِي** إلى ذِروة البيــتِ الشَّريف المُصَمَّدِ

2. **وجوب ملازمتها لياء المتكلم لدى اتصالها ببعض حروف المعاني**، مثل: (منِّي، وعنِّي، وليتَنِي)؛
3. **جواز ملازمتها لياء المتكلم لدى اتصالها ببعض حروف المعاني** (بسبب الإدغام الأصلي لحرفين متماثلين في الكلمة النواة قبل اتصال ياء المتكلم بها، الذي يسهل نطقها بتحريك المتماثل الثاني بالكسر لدى اتصال الياء بها)، مثل: (أنَّنِي وأنِّي، وإنَّنِي وإنِّي، ولكنَّنِي ولكنِّي، ولعلَّنِي ولعلِّي)؛
4. **امتناع ملازمتها لياء المتكلم في حروف** مثل: بِي (لأن الباء في الأصل مبنية على الكسر المناسب للياء)، ومثل: فِيَّ وإِليَّ وعلَيَّ (بسبب الإدغام المترتب على دخول ياء المتكلم على كلمة تنتهي بألف مقصورة منقلبة عن أصل يائي، يوجب إدغامها في ياء المتكلم، بعد إعادتها إلى أصلها، وهو الياء).

8. خاتمة

إن ما قدمناه من عرض شمولي مستقصٍ، وتحليل متعمق مدقِّق، ومناقشة علمية منهجية للخصائص الجمالية في نظام الكتابة العربية، يدعونا إلى أن ننظر بعين الرضا والتقدير والإعجاب، إلى لغتنا العربية التي صمدت على مدى قرون طويلة في وجه أعتى التحديات وأشرس الهجمات، وتكيفت مع عوامل التجزئة والتخلف والتخريب، التي استهدفت مجتمعاتنا العربية ومازالت تعمل فيها فتكاً وتمزيقاً، فحافظت على الرغم من ذلك كله، وبفضل الجهود الخيرة للغيورين من أبنائها عليها، أفراداً كانوا أو هيئات مجتمعية أو مؤسسات رسمية، على تماسكها ووحدتها وقوة نظامها وسيرورتها، وأثبتت على نحو ما بيّنّا بالتحليل والبرهان أنها **لغة عظيمة عبقرية مبدعة تتمتع بخصاص ذاتية متفردة خلاقة تمثل عوامل تميز ورسوخ**

وسيرورة قلما نجدها في لغة أخرى.

وإذا كان تحليل هذه الخصائص الجمالية لنظام الكتابة العربية وتقصيها قد سمح لنا بأن نصفها، واثقين وطمئنين، **بالعبقرية والمبدعة** فإن بعض هذه الخصائص قد أدى في الوقت نفسه إلى ظهور بعض مشكلات كتابية ترجع في رأينا إلى اختلاف وجهات النظر لدى أصحاب القرار التربوي في البلدان العربية وليس إلى نظام الكتابة العربية بحد ذاته، بسبب من عوامل متعددة قد يكون من بينها النظرة السطحية أو ضيق الأفق أو التقصير أو(ربما) الركود النسبي للبحث اللغوي على الساحة العربية أو بطء استجابته لمؤثرات التطور الذي ساد البحث اللغوي على الساحة الأوربية. ولكن هذا موضوع بحث آخر.

المراجع

مراجع باللغة العربية

- **القرآن الكريم**. مصحف المدينة النبوية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- ابن هشام الأنصاري، جمال الدين (1969). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**. تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ومراجعة سعيد الأفغاني. دمشق: دار الفكر. الطبعة الثانية.
- الأفغاني، سعيد (1971). **الموجز في قواعد اللغة العربية**. بيروت: دار الفكر.
- التبريزي (1974). **شرح المعلقات العشر**. بيروت: دار الأندلس.
- عمار، سام (2011، أ). "تمكين الكفاءة التواصلية في اللغة العربية في ظل الازدواجية وتعددية الاستعمال اللغويتين". **مجلة التعريب**. العدد 39. دمشق: مكتب الترجمة والتعريب والتأليف والنشر، الأليكسو.
- عمار، سام (2011، ب). "تطوير تعليم اللغة العربية: من التفريع إلى التمهير والتواصل" في: التنجاري، صالح وآخرون (منشورات): **قضايا تعليم اللغة العربية وتعليمها**، كوالالامبور: الجامعة العالمية الإسلامية بماليزيا.
- عمار، سام (2010). "نحو رؤية معاصرة لتعليم اللغة العربية في ضوء علم اللسانيات الحديث". **مجلة التعريب**. العدد 37. دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر. الأليكسو
- عمار، سام (2009). "اللغة العربية في ضوء علم اللسانيات الحديث: تطورها وأشكالها في الاستعمال المعاصر". **مجلة التعريب**. العدد 35. . دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر. الأليكسو.
- عمار، سام (2005). "تعليم اللغة العربية وفق الطريقة التواصلية: رؤية في اتجاه التطوير". **مجلة التعريب**، العدد 28. دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف **والنشر.الأليكسو**.
- عمار، سام (2004). "نحو تصور عملي لتيسير تعليم النحو". **مجلة التعريب**. العدد 27. كانون الأول. دمشق: المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر. الأليكسو.
- عمار، سام (2002). **اتجاهات حديثة في تدريس اللغة العربية**. بيروت: دار الرسالة.
- العبسي، عنترة بن شداد (1970). **ديوان عنترة**. بيروت: المكتبة الإسلامية.
- الغلاييني، مصطفى (1966). **جامع الدروس العربية**. بيروت: المكتبة العصرية.
- النفاح، أحمد راتب (1966). **مختارات من لشعر الجاهلي**. دمشق: مكتبة الفتح.
- القزويني، الخطيب، جلال الدين (1932). **التلخيص في علوم البلاغة**. شرح عبد الرحمن البرقوقي وضبطه. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

– كيلاني، كامل. **ديوان ابن الرومي**. مطبعة التوفيق. د. ت.

مراجع باللغة الأجنبية

– Galisson, R. Danielle coste et alt. (1983). **Dictionnaire de didactique des langues**. Collection No 21. 4ème éd. Hachette.
– Saussure, Ferdinand de (1916). **Cours de linguistique générale.** Lausanne. Payote. Nouv. éd. 1972. Paris. Edition 4.
– Martinet, André (1967). Eléments de linguistique générale. Paris. A. Coulin.